صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

المدد ١٠٢٣ « القاهرة فى يوم » الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٩ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

حسن البنا

بمناسبة ذكراه

كان الإمام المرشد حسن البنا طيب الله ذكره وذكراه يسلك الطريق الذى تسلكه (الرسالة) منذ عشرين سنة فكان مما لابد منه أن يلتقيا على جادته أو عند غايته

وكان لقاؤهما الأول فى مكتبى قبل أن يظهر أمر الرجل وتبلغ دعوة (الإخوان) ، فوجدت فيه ما لم أجد فى قبيله أو أهل جيله من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق لا يزعزعه غرور العلم ولا شرود الفكر ، وفقه فى الدين صاف صفاء المزن لا يكدره ضلال العقل ولا فساد النقل ، وقوة فى البيان مشرقة إشراق الوحى لا تحبسها عقدة اللسان ولا ظلمة الحس ؛ إلى حديث يتصل بالقلوب ، ومحاضرة تمتزج بالأرواح ، وجاذبية تدعوك إلى أن تحب ، وشخصية تحملك على أن تذعن . فقلت فى نفسى بعد أن ودعنى وشيعته :

عجيب ! هذا الشاب نشأ كما ينشأ كل طفل فى ريف مصر ، وتعلم كما يتعلم كل طالب فى دار العلوم ، وعمل كما

يعمل كل مدرس في وزارة المعارف ؛ فممن ورث هذا الإيمان ، وممن اقتبس هذا البيان ، ومن أين اكتسب هذا الخلق ؟

إن الشذوذ عن قواعد البيئة الجاهلة ، والنشوز على أنظمة المجتمع الفاسد ، والسمو على أخلاق العصر الوضيع ، لمن خصائص الرسول أو المصلح ؛ فإن الله الذي يعلم حيث يجعل رسالته يريد أن يُصنع النبي أو المصلح على عينه ، ليظهره في وقته المعلوم فيجدد ما رث من حبله ، ويوضح ما اشتبه من سبيله

والفطرة التي فطر عليها حسن البنا ، والحقبة التي ظهر فيها حسن البنا ، تشهدان بأنه المصلح الذي اصطنعه الله ، لهذا الفساد الذي صنعه الناس

ولم يكن إصلاحه رضوان الله عليه من نوع ما جاء به ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومحمد عبده ؛ فإن هؤلاء قصروا إصلاحهم على ما أفسدته البدع والأباطيل من جوهر العقيدة ؛ أما هو فقد نهج في إصلاحه منهج الرسول نفسه : دعا إلى إصلاح الدين والدنيا ، وتهذيب الفرد والمجتمع ، وتنظيم السياسة والحكم ؛ فكان أول مصلح ديني فهم الإسلام على حقيقته ، وأمضى لإصلاح على وجهه لم يفهم الإسلام الذي طهر الأرض وحرر الخلق وقرر الحق على أنه عبادات تؤدى ، وأذكار تقام ، وأوراد تتلى ؛ وإنما فهمه كما فهمه محمد وعمر وخالد : نورا للبصر والبصيرة ، ودستورا للقضاء والإدارة ، وجهادا للنفس والعدو

وإذا كانت سنة الله أن يبعث الرسول أو يظهر المصلح مزودا بالطب الناجع لوباء معين فشا ، وفساد مبين عم ، فإن الحال الأليمة التي تكابدها الأمة الإسلامية اليوم من ضعف أطمع في وطنها الاستعمار ، وجهل أطفأ في قلبها العقيدة ، وزيغ مال بوجهها عن السبيل ، تقتضي أن تكون رسالة المصلح في هذا الزمن جارية على النهج الذي نهجه المرشد الأول للاخوان المسلمين !

ولقد كان هذا النهج الذي قبسه البنا من القرآن وعززه بالعلم ، وأقامه على الإيمان وقرنه بالعمل ، ونشره بالبيان وأيده بالمعاملة ، كان من الجد والصدق والعزيمة بحيث زلزل أقدام المستعمر ، وأقض مضاجع الطاغية ، وخيب آمال المستغل ؛ فتناصرت قوى الشر على الدعوة العظمى وهي تتجدد في مصر ، كما تناصرت عليها قوى الشرك وهي تولد في الحجاز

وقضى الله أن يبتلي الإخوان فاغتيل الإمام وحوربت الدعوة واضطهدت الشيعة . ولكن الله عصمهم فلم ينقلب مريد على عقبه ، ولم يُفتن شهيد عن دينه !

ذلك لأن حسن البنا فكرة لا صورة ، ومبدأ لا شخص . والفكرة الصالحة تنمو نماء النبت ، والمبدأ الحق يبقى بقاء الحق . وما كان محمد صلوات الله عليه إلا باذر بذرة تعهدها من بعده صحابته ، فخرج نباتها بإذن الله وزكا ، ثم نما وسما ، ثم أزهر وأثمر . وسيبقى ثمرها أبد الأبيد ، على الرغم من سموم الريح وجدب التربة وعبث الآفة ، شهي الجنا داني القطوف لمن سبقت لهم من ربهم الحسنى !

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » فرحين بغرسهم الذي فاحت أزاهيره ، مستبشرين بفوزهم الذي لاحت تباشيره ، مغتبطين أن يروا من وراء الحجب الشفيفة دعوتهم تنتشر ، وأمتهم تنتصر ، وخطتهم تؤدى !

وإن القتيل الذي تمطر المحافل بذكراه اليوم ، ليبتسم ابتسامة الرضا وهو في مقامه الأعلى مع الشهداء والصديقين ، إذ يرى دمه المطلول يحيى عقيدة ، وجهده المبذول يوقظ أمة !

احمد حسن الزيات

رجال من دمشق :

١ـ الشيخ كمال الخطيب

للأستاذ على الطنطاوى

رجل كان فذاً بين الرجال ، لا ترى مثله العصور الطوال ، وإذا كان الرجل العادى المهذب كالنسخة المطبوعة من الكتاب ، كان الشيخ كمال نسخة مخطوطة مفردة ، وقد يكون فى المخطوطة خرم أو نقص — أو يكون على صفحاتها أثر من دهن أو بلل ، ولكنها مع ذلك أثمن من المطبوعة ، وإن كان ورقها نظيفاً ، وطبعها متقناً ، لأن هذه واحدة فى الدنيا ، ولأن من تلك آلاف الآلاف

كان الشيخ كمال بقية عصر مضى — ولكنه أبى أن يمضى معه ، فعاش فى القرن الحاضر ، كما كان فى القرن الماضى ، فكان تحفة فى (متحف) ، ولكنها تمشى ، وصفحة من (تاريخ) ، ولكنها تتكلم . وكان بطلا فى جسم عجوز ، وغنياً فى ثياب سائل . وكان فكرة استحالت رجلا ، ومثلا أعلى سوى إنسانا . ولكل منا مثل أعلى ، يتمثله إذا انفرد بنفسه ، — أما مثل الشيخ الأعلى فهو أعماله التى يعملها . ولكل منا أفكار يفكر فيها إذا خلا بعقله ، أما أفكار الشيخ فهى كلماته التى يقولها . وكل منا يعرف حقائق الناس ومثالبهم وعيوبهم ، ولكنه يكتمها عنهم ؛ أما الشيخ فكان يقول لكل إنسان مايعرفه عنه — لايستثنى من ذلك أحداً من الناس أبداً . وليس الذى بالشيخ ما يسمونه الصراحة أو الوقاحة بل هو شئ لا أعرف له اسما لأنى لم أجده عند شخص آخر : يقول لكل رأيه فيه بأوضح عبارة وأقصرها وأشدها ، ثم يمشى لا يريد بها جلب منفعة ولا درء مضرة . ثم يحبه مع ذلك الناس كلهم ، ويحترمونه ، ويخافونه : رجال الشعب ورجال الحكومة ، والعلماء والجهلاء ، والأغنياء والفقراء ، لا يسلم من لسانه أحد ، ولكن لا يكرهه أحد . ولم يكن يبالى حبهم ولا كرههم ، ولا يحفل باكبارهم ولا احتقارهم ، لأنه يعيش من نفسه فى عالم ، غاية مطلبه من الدنيا قمش يستر عورته ، ولم أقل جبة ولا رداء ، لأننى لم أكن أدرى ما كان بإبس على التحقيق : أجبة غيرها طول البلى حتى صارت من قصرها وثنيها كالرداء ، أم رداء أبلته الأيام فصار كالجبة ؛ وشئ يملأ جوفه ، سواء عنده أكان هذا الشئ خبزاً يابساً أم كان أرزاً ولحماً ؛ ومكان يضع عليه جنبه : سريراً أو فراشاً أو قطعة ممهدة من الأرض الفضاء ، فاز وجد ذلك لم يطلب شيئا بعده — لا يرجو جاهاً ولا مالا ، ولا يخاف سجناً ولا رهقاً

أخوه الأصغر زكى بك زعيم كبير من زعماء الشام ، ولى الوزارة مراراً ورياستها (بالوكالة) مرة ، وهو محام معروف ، وأخوه الآخر كان طبيبا كبيرا ، وأهله ذوو ميسرة وغنى ، ولكنه لا يرزأ أحدا شيئا ، ولا يجرؤ واحدمنهم — على دعوته إلى طعام أو منام

ولقد حدثنى الأستاذ زكى بك أنه ما افتقر هذا الفقر إلا لأنه كان كبير إخوته ، مات أبوه وخلف له هذين الصغيرين ، فباع ماله كله وأنفق عليهما ، حتى استكملا الدرس فى اسطامبول ، وكانت باريس تلك الأيام ، ثم أبى أن يأخذ منهما قرشا واحدا ، وإذا عرضا عليه هدية ، أو دعواه دعوة ، غضب أشد الغضب ، فتركا ماريدان لما يريد ، فعاش أغنى الناس — لا لأنه كان أكثرهم مالا ، بل لأنه كان أقلهم حاجة — ولا فرق بين أن تكون لك كنوز قارون — وأموال فاروق ، فتنال بها كل ما تطلب ، أو أن تكون مطالبك هينة يسيرة ، فلا تحتاج إلى مال كثير لتنالها ، ومن هنا قال من قال ، إن السعادة هى القناعة .

قنع من الحياة باليسير ما تحفظ به على صاحبها الحياة ،

رغيف يسد جوعته ، وقماش يستر عورته . وكان إذا طلب الناس المصايف .. واتخذوا لها الدور ، وأعدوا لها العدة ، حمل عباءته وعيبته ، ومشى ... مشيا إلى (سيمة) درة الوادى ، وجوهرة المتمد فى جيد بردى ، فوضع العباءة والنمرة فى المنارة ، فوق (العين الخضراء) ثم نزل فدار بالقهوات — وجالس الجماعات ، فوعظ ونصح ، وأمر ونهى ، لا يرزأ أحدا طعاما ولا شرابا ولا مالا ، ولا يدخل جوفه من عند أحد شيئا ، ثم عاد إلى المنارة فأكل فيها ما استطاع أن يمده لنفسه ، رغيفا ولحما ، أو خبزا وزيتونا ، أو شايا وكسرات يابسة من خبز الأمس ، وحمد الله ونام . لا يخشى السرق على مال ، ولا الخسارة فى تجارة ، ولا يخاف الشر من عدو ، ولا خيبة الأمل فى صديق

وهذا هو عمله فى دمشق : ينزل من قبل أذان الفجر إلى جامع بنى أمية ، فيصلى ويقرأ أجزاء من القرآن ثم يمشى فى الجامع — يمر على الحلقات ، فان وجد ما يعجبه شجع المدرس بكلمة ، وإن أنكر شيئا رد عليه ، وإن أحس غموضا وضح ، أو إيجازاً شرح — أو مللا من السامعين نفس عنهم بنكتة . ويعرف ذلك المدرسون له ، فلا يأبونه منه ، وإن أبى بعضهم ساقه بلسان حديد ، فحط من كبريائه ، والان من إبائه — حتى كان شيخنا الشيخ صالح التونسى . (مدرس الحرم النبوى الآن) يسميه (مفتش الجامع) !

ويحضر المحاضرات العامة فيسلك فى الجامعة والمجمع ، مسلكه فى الجامع . حضرته مرة فى المجمع العلمى العربى . من نحو ثلاثين سنة ، وقد جاء محاضر لبنانى فتكلم فى الحضارة الجديدة ، وأنه ينبغى فى رأيه أن نأخذ كل ما فيها ، وذم لباسنا ومدح لباس القوم . ولما انتهى وأقبل الناس (أعنى المترفين المنافقين) يهنئونه ، صاح الشيخ فى آخر القاعة ، بصوته الذى كان يغلب عشرة مكبرات للصوت ، ولهجته المرقة فى العامية : « ولك ! الحمار حمار ولو لبس بدلة وبنطرون . والإنسان إنسان ولو حط جلال[1] ... »

(١) بالجلال برذعة الحمار فى العامية الشامية وعربيتها : الجل

فانصرف الناس بكلمة الشيخ ، وتركوا المحاضرة فى مكانها

ويدور فى الأسواق — يراقب الناس ويدرس أحوالهم وهو يعرف أكثر أهل دمشق ، وآباءهم وأجدادهم — وتمر به المرأة المحجبة فيعرفها من أى أسرة هى . أمضى سبعين سنة وهو فى هذه المراقبة ، فان رأى حقيرا رفعته الأيام بلا سبب فتكبر — رماه بكلمة كالقنبلة فعرفه قدره وجرأ الناس عليه . وإن رأى دجالا انخدع به الناس فحسبوه عالما ، حط منه فصرفهم عنه . وإن أبصر جاسوسا أو ممالئا للفرنسيين — صرخ : « الله يلعن الجواسيس والمنافقين » . وإن نظر إلى أم ولدها وسخ — قال لها : « ولك ! هاى الماء ، روحى غسلى وجهه . النظافة من الإيمان » . وإن رأى بائما يغش مشتريا ، أو مشتريا يضايق البائع ، أو شابا يتحرش بالنساء ، أو امرأة تتصدى للشباب ، أو رأى معتديا على آخر فى جسده أو ماله ، أقام القيامة عليه ، فكان البلد كلها مدرسة ، والناس تلاميذها ، وهو المعلم فيها !

وهو قاموس حى فيه تاريخ دمشق ، وأنباء أحداثها ، وأخبار رجالها ونسائها ؛ حوادث رآها ووعاها ، وناس عاشرهم وخبرهم . وله آراء فى السياسة صائبات ، وأنظار ثاقبات . وله كلام منطقى تعوده أيام الاستبداد الأولى ، أيام السلطان عبد الحميد ، حين كان الجواسيس يخالطون الناس فى أسواقهم ومجامعهم ، ومدارسهم وطرقهم ، وحين كان للجدران آذان ، وكان يؤخذ الناس فى أوساط الليل من بيوتهم — بلا محاكمة ولا تحقيق ، إلى حيث لا يدرى أحد — وكان الناس يستمعون له ، ولا يجرؤون على معارضته

وكان يتوسط فى الخصومات ، ويعرض لحل المشكلات ، ويقضى بين الناس بلا محكمة ولا مرسوم جمهورى ، فيسمع من الخصمين ، ويوازن بين حجج الفريقين ، ثم يقضى . والويل من جحيم لسانه لمن لا ينفذ حكمه . فكم ألف

بين زوجين ، وأصلح بين شريكين . وكان يأخذ من الأغنياء ، سطوة واقتدارا ، أو حبا وإكبارا ، فيعطى الفقراء المستورين ، فيسعف الله وجوها لولاه أذهب ماءها حر السؤال

وكان قديما خطيب الجامع الأموى ، ولم أدرك أنا ذلك فضايق الحكومة بكشف عيوبها ، وضايق العلماء الرسميين بذكر سجايا العلماء العاملين ؛ فتألب عليه علماء السوء — فأغروا حكام السوء حتى عزلوه — فاتخذ من كل مكان منبرا يخطب عليه . ولبث على ذلك حتى توفاه الله ، من نحو سنة

* * *

هذا هو الشيخ كيل ، نسخة مخطوطة نادرة من مخطوطات الرجال . رجل فرغ من مطالب نفسه ، وعاش للناس ، فكان مثله الأعلى هو عمله ، وأفكاره هى قوله ، وكانت دمشق مدرسة وكان فيها الأستاذ

رحمة الله عليه

على الطنطاوى

العصر المملوكى الثالث !

للأستاذ محمد سعيد العريان

إن الأمة هى تصنع تاريخها ، ولكن التاريخ يعود من بعد فيصنعها صنعة جديدة ...

نظرت فى تاريخ مصر منذ أسلمته الأسرة الأيوبية إلى شجرة الدر ، ثم منذ أسلمته شجرة الدر إلى زوجها المملوك أيبك التركانى ، ثم منذ تسلسل فى المماليك من قطز ، إلى بيبرس ، إلى قلاوون ... ثم من قايتباى ، إلى الغورى ، إلى طومانباى الشهيد ، ثم منذ استخلصه أمراء المماليك من أيدى «الباشوات» العثمانيين ، سادة القلعة ، ليتداولوه من على بك الكبير ، إلى أبى الذهب ، إلى مراد وإبراهيم والألفى ، إلى محمد على الألبانى ، إلى إبراهيم وإسماعيل وفؤاد وفاروق ، إلى ٢٣ يوليو الماضى.. فإذا هو كله عصر واحد ، بدأ بشجرة الدر وانتهى بفاروق . .

عصر واحد له خصائص مشتركة تقوم على الغدر والأثرة ، والانفراد بالسلطة ، والتباهى بلا عمل ، والاستعلاء بلا سبب ، والسعى الدائب إلى غير هدف ؛ ثم النساء والأطياب ، والقصور ، والمتاع الحرام ...

وإزاء هذه الصفحات المسودة بتواريخ الملوك ، صفحات أخرى تصف شعبا يختفى طبيعة المقاومة وراء مظهر الاستسلام ، كل وسائله فى المعارضة أن يصنع النكتة ويضحك لها حتى يكاد يندلق بطنه ، وأن يتحدث همسا عن الند الأول كما قرأه له شيوخه فى « الجفر » ، أو فى الرمل ، أو فى صفحات النجوم ؛ ثم الانتظار إلى أن يبرز « الزعيم » الذى يقوده ، فما كاد يبرز ويتردد اسمه فى الأسماع ، حتى يصير هتافا على كل شفة ، وصدى لكل صفقة يد ، وقصة فى كل سامر ، وبخورا فى كل معبد ، وأكاد أقول وثنا لكل عابد ... ثم ينتهى ذلك الزعيم أو تطويه الحوادث إلى أجل أو إلى غير أجل ، فينتهى اسمه على الشفاه أو ينطوى ، فلا تسمعه إلا فى ثنايا نكتة يضحك لها قائلها وسامعها جميعا ... وتخفى طبيعة المقاومة وراء مظهر الاستسلام العابث ...

هذه هى الخصائص المشتركة لهذا العصر المملوكى الذى بدأ فى مصر منذ سبعة قرون ، وانتهى منذ بضعة أشهر ، وما أراه سيعود بعد ..

ولكن المؤرخين المحترفين وأساتذة التاريخ فى المدارس يوشكون أن ينكروا على هذا الرأى الذى أرى ؛ فقد كانوا زعمون ، وما زالوا يزعمون إلى اليوم فى كتبهم وفى

محاضراتهم العامة والخاصة ، وفيما يلقنون تلاميذهم من دروس التاريخ ، أن العصر المملوكي قد انتهى في مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر ، حين تولى محمد علي وخلفاؤه من بعده عرش مصر . وهو زعم يبعد قليلا أو كثيرا عن الحقيقة التي أومن بها وأرجو أن يؤمن بها المثقفون جميعا ؛ فإن عصر محمد علي وما بعده إلى ٢٣ يوليه الماضي ، لم يكن إلا امتدادا لعصر المماليك الذي بدأته شجرة الدر بتولية زوجها أيبك التركماني الجاشنكير عرش البلاد ، ليتسلسل من بعده في المماليك طبقة بعد طبقة إلى محمد علي «وطبقته» !

وقد كان محمد علي نفسه يؤمن بهذه الحقيقة ، فهو لم يفد إلى مصر سيدا ليحكم ، ولكنه وفد إليها كما وفد من قبله ومن بعده « مماليك » لا يحصيهم العد ، فوثبوا بالغدر أو بالحيلة أو بكفالة القادر إلى السلطة ولبسوا التاج ...

ولا يقولن أحد إن محمد علي لم يكن « رقيقا » في يد النخاس قبل أن يلي العرش حتى نصفه بالملوكية ؛ فإن سلاطين المماليك من عهد أيبك إلى عهد طومانباى ، لم يكونوا كلهم أرقاء مشترين بالمال ، بل كان منهم «أحرار» لم يدخلوا تحت رق قط ، وفدوا إلى مصر لأن لهم صلة ببعض أصحاب السلطة فيها ، فجاءوا مدعوين أو واصلين أو معينين لبعض السلطة هؤلاء على أمرهم ، فطابت لهم الإقامة واستقر بهم المكان وتهيأت لهم أسباب الحكم حتى وصلوا إلى العرش ، وكانوا مع ذلك في عرف المؤرخين « مماليك » وإن لم تدم آذانهم يوما في يد النخاس

وإذن فإن كلمة « مملوك » لم يكن يتحقق معناها اللغوي كاملا في اصطلاح مؤرخي عصر المماليك ؛ لأنهم كانوا يعتبرون خصائص الحكم وخصائص الحاكمين العامة لا الصفة الفردية التي تتصل بالمعنى اللغوي لكلمة مملوك

وإذن فقد كان محمد علي مملوكا ، أو مملوكيا ، وإن لم يعرف من ماضيه أنه كان رقيقا مشترى بالمال ؛ لأن الإصطلاح التاريخي لا يأبى عموم هذه الصفة حتى تشمله

ومع ذلك فمن ذا يعرف من ماضي محمد علي ما يثبت به أو ينفي أنه كان في يوم من الأيام رقيقا ينادي عليه الدلال في سوق العبيد ؟ إن كل ما نعرفه عن ماضيه أنه كان يعمل في « قوله » أجيرا لدى بعض تجارها ؛ ثم لا نعرف له على وجه اليقين منشأ ولا أبوة ولا أسرة ينتسب إليها ؛ فإن لم يكن مملوكا فكأن قد كان !

ولم يصطنع محمد علي وسيلة غير وسائل المماليك لبلوغ العرش ، ثم للثبات على ذلك العرش ، ثم لتوسيع رقعة ملكه ؛ ولعله في كل ذلك كان صورة مكررة لعلي بك الكبير ؛ فقد بدأ بالاحتيال ، ثم بالغدر ، ثم بالزحف على أملاك الدولة العثمانية ؛ فلولا مؤامرة أخيه مراد ، وخيانة ربيبه محمد أبي الذهب ، لبدأ « عصر محمد علي » قبل موعده بنصف قرن ، ولكن باسم آخر ، هو « عصر علي بك الكبير »

وقد يقال إن محمد علي ألباني من قولة ، والمماليك شركس من « جورجيا » ؛ فهو يخالفهم في العنصر والجنس . وهذا وهم باطل ؛ فلم يكن المماليك جميعا من الشركس إذ كان منهم القوقازي ، والصقلبي ، والبلغاري ، والرومي ، والمقدوني ، إلى أجناس شتى لا تبعد كثيرا عن الجنس الذي كان ينتسب إليه محمد علي ؛ وإنما كانت نسبتهم إلى الشركس للغلبة لا للاطراد ...

وقد يقال إن محمد علي كان رأس أسرة حاكمة يتسلسل فيها الملك بالوراثة ، وليس هذا دستور المماليك . وهذا أيضا وهم باطل ، فإن محمد علي أولا لم يكن رأس أسرة ، لأن إبراهيم الذي ولي العرش من بعده لم يكن من ولده ، ولكنه كان ربيبه ، ابن زوجته ، تربى في حضانته فأضفى عليه صفات الولد ، ثم عاد الملك بعد إبراهيم إلى أولاد محمد علي ، ثم رجع ثانية إلى أولاد إبراهيم ، فتسلسل فيهم من

إسماعيل ، إلى توفيق ، إلى عباس الثانى ، إلى حسين ، إلى فؤاد ، إلى فاروق ؛ ولم تكن نسبة هؤلاء جميعا إلى محمد على إلا من حيث أنه كان فى مثل مقام الأب من أبيهم إبراهيم فلم يكن محمد على إذن رأس أسرة بالمعنى الحقيقى بحيث يمكن أن يقال إنه خرج فى وراثة العرش عن دستور المماليك ...

على أن وراثة العرش مع ذلك كانت من دستور المماليك فى ظروف شتى ؛ حتى ليصح أن نحصى من سلاطينهم أسرات تسلسل العرش فيها من والد إلى ولد إلى حفيد ؛ فهناك أسرة بيبرس ، وقلاوون ، وبرقوق ، فى السلاطين المتقدمين ، وأسرة قايتباى والغورى فى فى المتأخرين ...

وقد قلت فى بعض ما سبق ؛ إن محمد على نفسه كان يؤمن بالحقيقة التاريخية التى تجعل حكمه فى عرف المؤرخ المتجرد امتدادا للعصر المملوكى فى صورة جديدة ؛ ودليلى على ذلك هو حرص محمد على على إبادة « النظراء » فى مذبحة القلعة النادرة ؛ ثم حرصه وحرص المحترفين من مؤرخى عصره على إسناد كل نقيصة إلى المماليك ووسم عهدهم بالفوضى والتهتك والهتك والسفك ، ليوقع فى وهم هذا الشعب المغلوب على أمره أنه من طراز آخر وجنس آخر غير جنس المماليك وطرازهم ، مع استمراره برغم ذلك فى جلب مماليك جدد من جنس آخر ، ليتخذ منهم بطانة له وحاشية ويضع فى أيديهم مقاليد الأمور فى البلد الذى أدانه لحكمه ...

وكان من خصائص الحكم المملوكى أن يحتفظ « المماليك » بجنسهم نقيا فلا يتخذوا من بنات الشعب أزواجا ولا يزوجوه من بناتهم ، إلا أن تكرههم على الخروج عن هذه القاعدة مكرهات لا قبل لهم بدفعها . وكذلك كان محمد على وخلفاؤه من بعده ؛ فلم يحاول هو ، ولم يحاول أحد من خلفائه ، أن يخلط نسبه بالشعب بالزواج من مصرية أصيلة النسب إلا محاولات فى السنين الأخيرة للتقرب من الشعب بعد أن نضج وعيه ، ولكنها كانت محاولات خادعة للإيهام بالصورة الظاهرة دون أن تغير شيئا من حقيقة الأمر ؛ فإن فلانة وفلانة وفلانة من زوجاتهم ، لسن مصريات خالصات النسب ؛ آباؤهن وأمهاتهن جميعا من سلائل مماليك محمد على ؛ ومن أجل هذا دون غيره كان اختيارهن زوجات ، وإن زعم من زعم من محترفى المؤرخين غير ذلك !

فقد ثبت إذن أن عصر محمد على لم يكن شيئا جديدا كل الجدة فى التاريخ ، ولا هو مرحلة فاصلة بين عهدين ، ولكنه امتداد لعهد مضى فى صورة جديدة ...

هو جزء من عصر المماليك تميز بخصائص ليست من عصر المماليك ولكنها نشأت عنها وتولدت منها واتسمت بسماتها العامة ...

وقد انتهت هذه المرحلة من العصر المملوكى فى ٢٣ يولية الماضى ، وبدأ الشعب يملى على التاريخ صفحة جديدة ؛ فقد وجب إذن أن نضع الأسماء على مسمياتها ونسمى هذه المرحلة باسمها ؛ ولن يكون اسمها أبدا كما أراد بعض محترفى التاريخ « عصر محمد على » ؛ فإن محمد على لم يكن إلا واحدا من المماليك الذين بدءوا منذ عهد أيبك الجاشنكير ، ولم يكن خلفاؤه إلا امتدادا لاسمه ...

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم العصر المملوكى قبل محمد على قسمين : عصر سلاطين المماليك ، ويبدأ من شجرة الدر إلى طومانباى المستشهد بأيدى الغزاة العثمانيين ، ثم عصر المماليك الأمراء ، ويبدأ من خاير بن ملباى الذى أقامه العثمانيون واليا على مصر بعد أن فقدت استقلالها ، إلى أن خرج آخر « باشا » عثمانى من القلعة بكفاح الشعب فى أول القرن التاسع عشر ، وإذن فليكن اسم العصر الذى يلى ذلك إلى ٢٣ يولية الماضى ، هو العصر المملوكى الثالث ...

محمد سعيد العريان

مائدة المسيح
ومجاعة الشيطان

للأستاذ منصور جاب الله

في ساعة العسرة وحين اليأس ، وبين تخون الظروف وطغيان الأحداث ، يلتمع في آفاق الدنيا شهاب ثاقب إذ تلف العالمين ذكرى ميلاد عيسى بن مريم ، يوم أهل المسيح على الأرض فأشرقت بنور ربها وحفتها الملائكة الأبرار

وسرت البشرى بمولد المسيح من أرض الميعاد إلى سائر الأمصار ، فشملت الفرحة الخلائق كلها . وانبثقت رسالة المسيح من أرض السلام تدعو للسلام

حتى إذا عصفت بسلامة الدنيا أمة من النوب والهزاهز والإحن ، بقيت أفئدة من الناس تهوى إلى بيت لحم ، منبت المسيح ومهاده ، فهناك القداسة ، وهناك الطهارة ، وهناك الوئام

وفي عشية عيد الميلاد يستضيف المسيح الطاهر على مائدته القدسية أولئك الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، فهاموا في البرية جياعا طاوين « عارين من حلل كاسين من درن » كما قال المتنبي قبل ألف عام ، تتلقفهم البلدان وتترامى بهم الفيافي وتتقاذفهم السبل ، يستضيف المسيح هؤلاء اللاجئين الأحرار ، ومعهم أرواح الشهداء الأطهار ، فأقرب ما يكون المرء إلى ذكر الكرم وقرى الضيفان حين يكون جائعا عاريا ، شريدا في الفيافي والبراري ، يعضه الفقر وتمزقه الأوصاب

* * *

« إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين » فلم يطلبوها جحودا ولا كنودا ، وإنما أرادوها سكنا لقلوبهم واطمئنانا لعقائدهم

وإذ جأر المسيح عليه السلام بالدعاء « اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك » نزلت سفرة حمراء بين غمامتين والناس قيام ينظرون حتى إذا استوت بين أيديهم بكى المسيح وهو يقول « اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة » ثم رفع عنها الغطاء فإذا سمكة مشوية ، لا حسك فيها ولا قشر عليها ولا فلوس ، تسيل دسما ودهنا ، وعند رأسها ملح ، وعند ذنبها خل ، ومن حولها صنوف من البقل والخضر جميعا ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون ، وعلى الثاني عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد

وإذا بصر الناس بهذه المعجزة القدسية فوق ما رأوا من المعجزات الكبار ، تعاظمهم الأمر وبهتوا وأخذ منهم البهر مأخذه . وقال واحد من حواريي السيد المسيح : ياروح الله . لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى . فقال : ياسمكة ، احيي بإذن الله ! فاضطربت ، ثم قال لها : عودي كما كنت فعادت مشوية

ثم طارت المائدة إلى السماء والناس ينظرون في ظلها ، وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا ، يجتمع عليها الفقراء والأغنياء ، والصغار والكبار يأكلون . حتى إذا فاء الفيء ارتفعت ، ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ، ولا مريض إلا برئ ولم يمرض أبدا

* * *

أما بعد ، فذلك حديث المائدة القدسية ، كما رواه

المحدثون الثقات ، أشبعت الناس من جوع ، وأسبغت الطمأنينة على نفوسهم ، وأسبلت السكينة على قلوبهم

لقد نزلت المائدة المقدسة على أهل فلسطين ، فأشاعت بينهم الأمن والسكينة ، بعد إذ طمعوا منها وشبعوا . فما بال أولئك الذين أجاعوهم ونكلوا بهم وشردوهم فى آفاق الأرض ، ونشروا بينهم المجاعة والمسغبة ؟

إن حديث هؤلاء الجياع الطاوين ليحز فى كل قلب ، ويغمز على كل كبد ، ويستدر من الأعين الدمع الهتون

إنها مجاعة الشيطان التى استبدلها بمائدة المسيح ، وكذلك نشر على ضفة الأردن الجوع والعرى

* * *

فيم يساعد أولئك الذين يقولون إنهم ورثة المسيحية الأولى ، هؤلاء الغزاة الأفاقين الذين دنسوا مهد المسيح وداسوا الحرمات وانتهكوا الشعائر والأقداس ؟ ألأنهم راحوا من بعد يحاكونهم بهذا المنكر الذى ارتكبوه على ضفتى القناة ! ثم لأنهم جاروهم فى ارتكاب الموبقات وقتل الرجال والنساء والولدان ؟

ألا إن المسيح الطاهر ليبرأ فى أقداسه العليا من أولئك الذين يحملون اسمه ثم يماضدون سلالة أعدائه على غزو الأرض التى فيها درج وإليها بعث . وإن هؤلاء العرب المذبين فى أرض بها مهد المسيح ، وإن هؤلاء المصريين المذبين فى أرض هاجر إليها المسيح ، إذا خاب أملهم فى العدل الإنسانى على الأرض لتتلع أعناقهم إلى السماء ، يرقبون عدل السماء ، كما تنزلت المائدة من السماء.

* * *

ألا فليقل أولئك الطغاة الذين كلما خبت جذوة الحرب أعادوها جذعة وزادوها ضراما ، ألا فليقولوا ما جريرة هؤلاء البكاة فى ليلة عيدهم والخطب جسام والنفس هالعة والعهد القريب ؟ لقد ذاقوا أفاويق مترعة من برد السلام حين حدثوهم عنه أياما ، ثم كووهم بحر حرب تذيب المهج والجلود . وإنهم حين تموج بالعبرات عيونهم ، وحين تصدأ من الهموم قلوبهم ، وحين تثخن بالجراح جسومهم ، إنما يستشرفون لانبلاج صبح جديد ليس فيه عول ولا نحيب

منصور جاب الله

حياة المازني

المرأة في حيـــاة المازني

ما أكثر ما عشقت في تلك السنوات الأولى من شبابي
المازني

للأستاذ محمد محمود حمدان

عاش المازني ما عاش — وقد شارف الشيخوخة — لا ينبض قلبه بغير الشباب . وكانت سنه التي لا تكف عن الارتفاع — كما يقول — تغريه من فرط ما يستشعر امتدادها أن يحسب حوادث حياته بأرباع القرون لا بحساب عدد من السنين ، ولكنه إذا ذكر شجون قلبه ومنازل هواه كان كأنما يطوى الأعوام الطوال في لحظات ، ويختزل العمر كله في مثل كرة الطرف ، وتحس أنه ينقل إليك على الصفحات أو في الكلمات ، نبضات قلب فتى يتفتح على حبه الأول في براءة وطهارة ونقاء ..

لهو أطفنا بيكر لذته   وما فضضنا خواتم العذر

* * *

عرف المازني الحب وهو بعد فتى ناشئ ، وكانت «هى» جارة له صغيرة في مثل سنه ، كالنرجسة فيما يراها . وكان بدء ما بينهما أنه لقيها يوما عائدة إلى بيتها ، فلما صارا في (الحارة) إذا هى زحلوقة لا تثبت فيها القدم من كثرة الماء المرشوش ، فأسندت يدها على الحائط وناولته يدها الأخرى . ويقول المازني : « لما صارت كفها في كفي شعرت بشئ من الزهو ممزوجا بالغبطة ، وخفت على يدها اللينة البضة أن تؤذيها قبضتي — التي خيل إلى أنها قوية — فجعلت أصابعي حول رسغها حيث العظام فيما بدا لى أقوى على الاحتمال . وكانت مضطرة أن تعتمد على بجسمها وتلك أول مرة دنت منى أو دنوت منها إلى هـذا الحد ، وكان شعرها محلولا ومرسلا من فوق كتفيها على صدرها فجعلت أدنى أنفي منه وأشمه ، ولم يكن معطرا ولكني كنت أجد له ريحا طيبة ، فلحظت ذلك منى وسألتني وقد جذبت يدها قليلا : ما هذا الذى تفعله ؟

قلت : إنى أشمك

قالت : تشمنى !

قلت : إن لشعرك رائحة طيبة ، فهل من بأس أن أشمه ؟

قالت : كلا ، لا تفعل

قلت : قد فعلت وانتهى الأمر

« ومر عام وكنا قد انتقلنا إلى بيت آخر ، فمررت بدارها يوما بعد الغروب ، وكان الباب مواربا فرأيتها تسقى أصص الزهر في فناء البيت . فوقفت أتأملها لحظة وهى تقبل الورد والأزاهير بعد سقيها ورشها ، ثم دخلت في رفق وهمست باسمها فلم تسمع ، فأعدت الهمس فانتبهت كالمذعورة وقالت : إبراهيم ؟ وكررت ذلك . فاقتربت منها وقلت : نعم ! هل أفزعتك ؟ ووقفت : شفتاها مفترقتان ووجهها تصبغه الحمرة من أثر المفاجأة . ولم أكن أعرف ماذا ساقني إليها سوى أنى اشتقت أن أراها وأن أقف معها لحظة أحادثها ، وقالت : لقد كان يجب أن أفزع فما سمعتك تدخل ، ولكن من الغريب أنك خطرت ببالى وأنا أسقى هذه الأصص . فكدت أصيح لا أدرى لماذا ، وقلت : أصحيح هذا ؟ إنه يسرنى . قالت ضاحكة : لم أكن أفكر فيك تفكيرا يسرك ، لقد كنت ساخطة عليك . فضحكت مثلها وقلت : ماذا جنى هـذا الشقى يا ترى ؟ قالت : لست ساخطة لأنك فعلت شيئا ، لقد كنت عندكم أنا ووالدتى وأختى وقضينا النهار كلـه هنالك تقريبا ، وأنت لا أثر لك فى البيت ولا يدرى أحد أين ذهبت ،

وفي وسعك أن تتصور مللي بين السيدات العجائز .
قلت : إني أفضل أن ألقاك هنا ، ويسرني أن أجدك وحدك .
قالت : وهل كنت واثقاً أنك ستلقاني هنا ؟ قلت : كلا
قالت : إذن لم جئت الآن ؟ قلت : لا أعلم . اشتقت أن أراك لا أدري لماذا ، فجئت . ومر بخديها طيف من الحمرة ما جاء حتى ذهب ، ففتحت عليها عيني وأثارتها النظر فتراجعت خطوة وهي تقول : ينبغي أن أدخل . فوقفت أرمقها وهي تدور لتمضي عني ، ثم كأنما انشق عني سور فاندفعت إليها ووقفت إلى جانبها وجعلت أدير لساني في حلقي بلا كلام وقلبي يخفق ، وتناولت يدها وذهبت بها إلى الباب حيث ظللنا برهة صامتين ، ثم صاحت : يدي ! يدي ستحطمها . فانتبهت وأطلقت كفها وأسفت . فقالت بصوت عذب . دعني أدخل بالله

وبعد شهور عدت من المدرسة يوماً فإذا هي ووالدتها في بيتنا ، ففرحت ، وكانت يدي ترتجف وعيني إلى الأرض . وذهبت إلى غرفتي فأدركتني في الصالة وقالت : خذ . وناولتني عوداً من ثمر الحناء ، فأخذته في صمت وأدنيته من أنفي ، ووقفت أشمه وأشمه وقد غاض معين الكلام وانقطع عني مدده . فلما رأت صمتي وارتباكي قالت : سنذهب إلى الريف . فأنطقتني هذه المباغتة وقلت : ستذهبين ؟ وكم تظلين هناك ؟ قالت : عاماً ، أتستكثر ذلك ؟ قلت : بالطبع . وماذا تنوين أن تصنعي هناك هذا العام ؟ قالت : كيف يعنيك أن تعرف ؟ وضحكت ، فجلت ضحكتها صدري ونفت مخاوفي ، ونظرت إليها معجبا وأحسست بالدم يتدفق في عروقي ، وبأنفاسي تسرع . وحمل إلى النسيم الواني طيب شعرها ، فمددت يدي إلى كفها وكانت شفتاها مفترقتين وعيناها في عيني ، وصدرها يكاد يلمسني ، فألفيت نفسي أنحني عليها وألمس شفتيها بفمي ، فصار وجهها كالجمرة ، ولكنها لم تتحرك ولا تكلمت ، ودار رأسي كالمخمور فتقهقرت خطوة ، وهي واقفة كالتمثال وما أظنها كانت تتنفس أو تفكر ، فما رأيت صدرها يتحرك أو أجفانها تختلج ، كلا ، لا شيء إلا هذا الجمر في خديها ينبئ أنها حية . وأفاقت ثم أصعدت زفرة كأنما كنت لطمتها ولم أقبلها . ثم هتفت بي ، فأسرعت وأخذت يديها في كفي ثم رفعتهما وقبلتهما وقلت لها : أغاضبة أنت ؟ قولي إنك لست غاضبة . فأجابتني بهزة خفيفة من رأسها . فقلت : لست غاضبة ، أعلم ذلك وإلا فما قبلتك ، تكلمي . فقالت همسا : دعني أذهب ، إني خائفة . فقلت : إنك جميلة ، جميلة . وانهلت على يديها مرة أخرى ألثمها ظهراً وبطناً ثم سحبت يديها ببطء ووضعتهما على صدرها ، وقالت وهي تتلعثم وترتجف : قل لي ما هذا ؟ قلت ، ووضعت يدي على يديها فوق صدرها : هذا ؟ ألا تعلمين أنه الحب ؟ فتنهدت وأرخت يديها وتركتهما تهويان وقالت : سأذكرك دائماً قلت : كلا ! هذا لا يكفي . ولم تكد شفتاها تفترقان ، وهمست كأنما تتنفس : سأحبك دائماً »

وكان هذا بينهما آخر لقاء !

* * *

وبلغ المازني مبالغ الشباب . وصار طالبا بالمدرسة الخديوية ، وكان يؤم سمته كل صباح من البيت إلى المدرسة عن طريق « درب الجماميز » . فلمح ذات يوم فتاة في مثل سنه يتبعها خادم نوبي يحمل لها حقيبتها وكتبها ، وكانت تأتزر ، أي تتخذ « حبرة » وتضع على وجهها برقعاً أبيض ينسدل من أرنبة الأنف ويحجب ما تحته — الفم والذقن والخدين والعنق . ووقعت الفتاة من نفسه وشغلته محاسنها وعرف المازني أنها تلميذة في المدرسة السنية ، وأنها تقطن نفس الحي في الناحية الأخرى منه . فصار يترصد خروجها وأوبتها ليشبع عينه من التملي بها ، ويهدهد ما علق قلبه من الهيام والصبابة ؛ وما كان حظه من ذلك ليزيد على النظر المجرد ، « ولم أكن أكلم حبيبتي هذه ، ولا كانت تكلمني ، ولكن على الأيام صارت العين تقع في العين »

.. ولعل الفتاة قد أحست بغريزتها معنى نظراته هذه ، وألهمتها طبيعة الأنوثة ما كان يشده إليها ويجذبه نحوها فقد كانت حلوة ممشوقة ، يزيدها فتنة وحسنا رداؤها الجميل الذي يوحي بالنعمة والرفاهية ، ويلقى عليها سواد الحبرة اللماع وبياض النقاب ظلا من السحر يغرى بارتياده . وكانت كلما التقيا تلق إليه بنظرة ، ينقلب بعدها قرير العين مثلوج الخاطر . وظلا هكذا يتعارفان بالنظر دون الحديث مدى عامين . ثم شاء القدر أن يفترقا دون أن يعرف أحدهما اسم صاحبه أو شيئا عنه

ووسع قلبه الشاب أن يجدد علاقته وأن يجيب نداء الحب لأنه عنده نداء الحياة . بل كان إذا أثقل عليه الشعور بالحرمان أوحى إلى نفسه الحب ، وقد يفعل الإيحاء فعله ويحدث أثره ، ويتهيأ له أن يحس الشوق الطبيعي والرغبة الصادقة إلى من يجاوبه هذا الإحساس . فلم يخل قط من حب يستجد علاقته ويهيئ أسبابه ، أو كما قال « ما أكثر ما عشقت في تلك السنوات الأولى من شبابي ! »

وفى وصف تلك الفترة يقول الأستاذ العقاد من قصيدة له إلى المازنى :

أنت فى مصر دائم التهميد ... بين حب عفا وحب جديد
بين ماض لم يذبل الحسن منه ... وطريف كاليانع الأملود
أنت كالطير ربما شالت الطير ... عن الأيك وهو جم الورود

***

ثم تزوج المازنى وهو فى سن العشرين ، وكان — كما يقول لا يعرف عن المرأة إلا أنها أنثى ولا عن الزواج إلا أنه وسيلة مشروعة لتعارف الجنسين . فلم تكد تبدأ حياته الزوجية حتى صارت — بعد شهور — إلى شر ما يمكن أن يصيب زوجين من النفرة وقلة الاحتمال وعدم الاستعداد للتفاهم والعجز عن إصلاح الفساد . وكاد الأمر ينتهى إلى الفرقة النهائية . وقضى فى جحيم هذا الخلاف ثلاث سنوات لم ينجه من عواقبه إلا التوفيق إلى درس طبيعة المرأة وغريزتها ، وعاش مع زوجته ضعف هذا الزمن « كأسعد ما يكون زوجان فى هذه الدنيا التى لا تخلو من المنغصات » ثم ماتت هذه الزوجة فحزن عليها حزنا بالغا دل على ما كان يكنه لها من حب . ونستطيع أن نضع حبه هذا لزوجته إلى جوار ذلك الحب الذى عرف ألوانا منه من قبل ، لأنه فى الحالين يصدر عن وتر واحد فى نفسه وإن اختلفت أصداؤه بين حين وحين . فليست زوجة وحسب من تكون عند زوجها عنوانا على الجنس كله وإشارة إلى عالم الأنوثة بأسره ، ومن تجمع له إحساسه المتعدد بالحياة فى إحساس فرد تكون هى محوره ومداره

يتبع

محمد محمود حمدان

التضامن الاجتماعى
بين ابن خلدون ودوجى

للأستاذ جمال مرسى بدر

لا مبالغة فى القول بأن الاجتماع من أقدم الظواهر التى صاحبت العمران البشرى ، ولا غرو فإن الأمرين متلازمان بل أن التعبيرين من المترادفات . ولعل الأصح أن يقال إنه لا عمران بغير اجتماع ، وأن الحضارة نفسها إن هى إلا ثمرة اجتماع الإنسان إلى الإنسان

ومن أقوال الحكماء قديما : «الإنسان مدنى بالطبع» وهى حكمة بالغة تصل إلى أعماق النفوس البشرية وتكشف عن طبيعة الإنسان الاجتماعية وتثبت أنه لا بد له من الاجتماع إلى أفراد جنسه وأنه لا يستغنى عن ذلك الاجتماع ولا تستقيم حياته بدونه

هذا وإن بين نشوء الاجتماع البشرى وبين قيام الدول بالشكل الذى نعهده منذ أن سجل قيامها التاريخ مراحل طويلة يعنى بيحثها علماء السياسة وفقهاء القانون العام ويذهبون فى أمرها مذاهب شتى ويفسرون — بالتالى — قيام الدولة تفسيرات متفاوتة شأنهم فى كل موضوع ينفسح فيه مجال النظر ويطلق فيه العنان للرأى

ولئن كان فلاسفة الإغريق قد تكلموا فى السياسة فان مسألة قيام الدولة لم تظهر بشكل جلى إلا فى كتابات كتاب القرنين السابع عشر والثامن عشر الذين يمكن تبويب آرائهم فى اتجاهين متميزين يختلف بينهما تفسير قيام الدولة وتحديد وظيفتها ، ويتفق بين الآراء المندرجة تحت كل منهما الأساس النظرى وإن تفاوتت التفاصيل

فالاتجاه الأول — ويمثله هوبز ولوك — يذهب إلى أن الاجتماع البشرى قديم ، أى أن الإنسان ما وجد إلا فى جماعة ، وأن تلك الجماعة فى حالتها الطبيعية كان يسودها النزاع المستمر بين أفرادها حول الأغراض والمطامع الفردية التى لم يكن الإنسان يهتم بسواها ، غير أن استمرار حالة النزاع الدائم هذه أدى إلى تنبيه أفراد الجماعة ، فدفعهم حب البقاء إلى وجوب الاتحاد وأشعرهم بضرورة وجود السلطان فتفاهموا على الخروج من الحالة الطبيعية والخضوع لرئيس منهم وبذلك قامت الدولة

أما الاتجاه الثانى — ورافع لوائه جان جاك روسو — فيذهب إلى أن الاجتماع حادث ، أى أن الإنسان كان فى الأصل مبتوت الصلة بغيره من أفراد جنسه ، وأنه كان يحيا فى تلك الحالة الطبيعية الأولى سعيدا موفورا متمتعا بحريته الكاملة حتى إذا كثر عدد الناس وتشابكت مصالحهم وظهرت نوازع الشر فيهم رأى الإنسان أن ينضم إلى غيره وأن يتنازل للجماعة عن جانب من حريته الأصيلة مقابل تمتعه بحماية الجماعة ، وبذلك نشأت الدولة مستندة إلى إرادة المجموع أى إرادة الأمة التى فيها وحدها يتمثل السلطان

ومهما يكن من شأن النجاح الذى لاقاه مذهب روسو فى القرن الثامن عشر ومن تأثيره البالغ فى الثورة الفرنسية وما تبعها من أحداث ، فإن العلم الحديث لا يقر ذلك المذهب ويرى فى « الهمجى النبيل » الذى خلقه روسو خيالا لا دليل عليه بل لا حقيقة له . فالاجتماع البشرى قديم قدم البشرية ذاتها ؛ وقيام الدولة أمر من الصعب تتبعه وإثبات كيفية حصوله ؛ وإنما الدولة نتيجة لتطور اجتماعى طويل ، وهى بهذا الوصف حدث اجتماعى أو واقعة اجتماعية لا محل للبحث عن أساس قانونى لها ، ولا داعى لتصور عقد اجتماعى تقوم عليه وتستند إليه

وللعلامة ليون دوجى — كبير فقهاء القانون العام المعاصرين — نظرية طريفة فى تكييف الدولة وتبرير قيامها

تتفق والواقع الملموس . وتعتبر الكلمة الأخيرة فى هذا الباب . فعنده أن الإنسان عاش فى الماضى كما يعيش الآن ، وكما لا بد أن يعيش فى المستقبل مع غيره من أفراد نوعه فى حياة اجتماعية ؛ فالفرد كان دائما عضوا فى جماعة إنسانية ، غير أنه يشعر فى نفس الوقت بكيانه الشخصى المستقل عن الجماعة وبميوله الخاصة وحاجاته التى يريد أن يقضيها ، ولكنه يعلم أنه لا يستطيع تحقيق شئ من ذلك إلا إذا عاش فى حياة مشتركة مع غيره

إذن فالإنسان كان دائما عضوا فى جماعة كما كان دائما يشعر بفرديته ، إلا أنه كان ولا يزال يرتبط بالجماعة برباط وثيق مرجعه إلى ما أطلق عليه دوجى تعبير « التضامن الاجتماعى » solidarité sociale

وهذا التضامن كان موجودا فى جميع مراحل تطور المجتمعات البشرية ، فقد كان واضحا فى نطاق الأسرة ثم فيما بين أعضاء القبيلة ، ثم بين المواطنين فى المدينة الواحدة ، وأخيرا بين أفراد الشعب فى الدولة التى هى الشكل الحديث للجماعات المتحضرة

وعند صاحب هذا المذهب أن أهم عوامل التضامن الاجتماعى عاملان : —

الأول أن للأفراد حاجات مشتركة لا يمكن تحقيقها إلا فى الحياة المشتركة ، وهذا ما يسمى بالتضامن بالتشابه solidaité par similitude . والعامل الثانى — تفاوت قدرة الأفراد واختلاف كفاياتهم مما يستتبع بالضرورة تبادل الخدمات بينهم . وهذا ما يسمى بالتضامن بتقسيم العمل solidaitè par division de travail وهذان العاملان اللذان يتمثل فيهما التضامن الاجتماعى يؤديان إلى ترابط الجماعة وإلى استمرار وجودها . وما الدولة سوى الصورة الواقعية التى يتجلى فيها التضامن الاجتماعى ، ووظيفة الدولة إنما هى المحافظة على ذلك التضامن وتسهيل اتساعه وتطوره ومنع العوامل التى تصيبه بالضعف والوهن ، وذلك عن طريق سن « قواعد للسلوك » وهى المعروفة باسم القوانين ، والقوانين لا تكون مشروعة إلا إذا هدفت إلى حماية التضامن الاجتماعى وإلى كفالة عوامل نموه واطراده ، فذلك التضامن هو أساس قيام الدولة وهو تبرير مالها على الأفراد من سلطان

هذا عن التضامن الاجتماعى عند « دوجى » الفرنسى المعاصر فماذا عن ابن خلدون العربى القديم ؟

مهلا يا سيدى القارئ ولترجع معى إلى « مقدمته » الخالدة لتجد فى الصفحة الخامسة والأربعين وما بعدها [1] عرضا بديعا لنظرية التضامن الاجتماعى التى طلع بها على العالم « دوجى » فى القرن العشرين للميلاد فاعتبرت فتحا فى علم السياسة وابتكارا فى فقه القانون العام

يقول ابن خلدون : « ... الإنسان مدنى بالطبع أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدنية فى اصطلاحهم وهو معنى العمران . وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله . إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه . ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخورى . هب أنه يأكله حبا من غير علاج فهو أيضا يحتاج فى تحصيله حبا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه الأعمال من الزراعة والحصاد والدراس ... ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير . ويستحيل أن توفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت

(١) طبعة مصر سنة ١٣٢٧ (المطبعة الشرفية)

له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف » !

وتراه بعد ذلك يستطرد فى شرحه فيقول : « وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا فى الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه لأن الله سبحانه لما ركب الطبائع فى الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الإنسان … وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات التى تنوب عن الجوارح المعدة فى سائر الحيوانات للدفاع . فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفى قدرته أيضا باستعمال الآلات المعدة المدافعة لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد فى ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء … ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه … ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر . وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله فى بقائه وحفظ نوعه » !

فى هذه العبارات الواضحة يعرض ابن خلدون كل ما فى نظرية التضامن الاجتماعى الحديثة وإن لم يرد على قلمه لفظ « التضامن » فقد استعاض عنه بكلمة « التعاون » وقديما قيل لا مشاحة فى الإصطلاح .

لقد أشار ابن خلدون إلى قدم الاجتماع البشرى وإلى أنه فى الإنسان طبيعى أزلى ، واستطرد من ذلك إلى تقرير وجود التضامن الاجتماعى وإلى شرح طبيعة ذلك التضامن بنوعيه اللذين تتكلم عنهما النظرية الحديثة وهما التضامن بالتشابه ، والتضامن بتقسيم العمل

ضرب ابن خلدون مثلا للتضامن بالتشابه بليغا فى إيضاح المعنى المقصود إذ ذكر الدفاع وما يتطلبه من تعاون أبناء الجنس البشرى ، فهنا نجدنا أمام حاجة مشتركة بين جميع أفراد المجتمع هى الحاجة إلى الدفاع عن النفس إبقاء عليها وحفظا لها ، وهى حاجة لا يتيسر تحقيقها على وجهها إلا فى الحياة المشتركة لما ذكره ابن خلدون من عجز الفرد الواحد من الناس أمام العدو المشترك فكان لا بد من اجتماع العدد الكبير من أفراد الجنس البشرى حتى يمكن سد هذه الحاجة المشتركة بينهم ، وهذا بعينه هو التضامن الاجتماعى بالتشابه الذى تكلم عنه « دوجى »

أما النوع الثانى من التضامن الاجتماعى وهو الناشئ عن تقسيم العمل فقد ضرب له ابن خلدون مثلا لا يقل وضوحا فى معناه ولا قوة فى دلالته عن المثل الأول ، فقد ذكر قوت يوم من الحنطة وما يقتضيه الحصول عليه من تعاون الزارع والطاحن والعاجن والخابز فضلا عن تعاون من يتخذون لهؤلاء آلات صناعاتهم ، فهنا نرى كفايات متفاوتة تستتبع تبادلا للخدمات وتعاونا بين أصحاب مختلف الحرف كل فى اختصاصه ، وهذا بعينه هو التضامن بتقسيم العمل الذى تبرزه النظرية الحديثة

وأما عن قيام الدولة فيقول ابن خلدون : « إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم ؛ وليست آلة السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شئ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك

وهكذا نرى أن ابن خلدون — وبينه وبين دوجى نحو ستمائة عام فى الزمان — قد سبق إلى النظرية التى

اعتبرت للفقيه الفرنسى نصرا وفتحا وعرضها عرضا واضحا يدنا لا فرق بينه وبين الشكل الحديث للنظرية إلا فى العبارات والمصطلحات

وليس هذا إلا قطرة من بحر ابن خلدون الذى ينزح منه كل مطلع على آثاره الخالدة على الدهر ، وخاصة مقدمته التى تعتبر بحق كنزا حافلا بجواهر الآراء فى علوم السياسة والاجتماع . فلا مبالغة إذن فيما تصفها به دائرة المعارف الإسلامية [1] إذ تقول إنها « ستظل دائما أعظم مؤلفات ذلك العصر وأهمها من جهة العمق فى التفكير والوضوح فى عرض المعلومات والإصابة فى الحكم ، ويظهر أنه لم يفقها كتاب ما لأى مؤلف إسلامى . »

جمال مرسى بدر

(٢) مادة (ابن خلدون)

قصة الفتنة

بين الأزهر ودار العلوم !

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

أنا متهم بإثارة الفتنة بين الأزهر ودار العلوم ! …

اتهمنى بها أصدقاء ردوا على فى صحيفة « الأخبار الجديدة » ، وزميل اختار لرده « الرسالة » واتهمنى بها أناس كثيرون ، يربطنى بهم إخاء ثقافى ، أو صداقة علمية ، أو زمالة وطيدة ، ولم يحاول واحد منهم جميعا ، أن يتعرف الدوافع ، أو يتقصى ما وراء الأمر من أسباب

كانت كلمتى فى « الأخبار الجديدة » ذات شقين ، أولهما دفع ما أثاره بعض الزملاء ، من أن هناك تعصبا يقع عليهم ، وحيفا يصيبهم ، وأحمد الله كثيرا ، على أن بينهم من نفى ذلك كله ، وقال كلمة الحق ، وهو أن مرج التفضيل لدى مفتشى اللغة العربية ، جهد الإنسان وإخلاصه وتفانيه ، وسكت الباقون فلم يثبتوا شيئا ، وإن عز عليهم أن يعترفوا بالحق لذويه !

وقصة هذه الشكاوى تمثل فى واقعها مأساة أليمة … مأساة الأخلاق حين تنحدر ، والوفاء حين ينضب ، وكلمة الحق حين تغيض من الشفاه ؛ ذلك أن اللغة العربية كانت تجد فى أشخاص القائمين عليها ، اضطهادا مزريا من وزارة المعارف ، وكان هؤلاء الرجال يدفعون هذا الاضطهاد بكل ما أوتوا من قوة ، اضطهاد يسنده استعمار غاشم ، يريد أن يحطم معنويات الشعب بتحطيم لغته ، ويمكن له دعاة مرتزقة ، يريدون للاستعمار أن يبقى ليعيشوا ، وتظاهره ارستقراطية كاذبة ، ترى فى العربية تأخرا يخدش زهوها ويؤذى شعور بنيها ، ومن ثم كان موظفو وزارة المعارف يتفاوتون تبعا لاختلاف ثقافتهم ، فعزل ذوو الثقافة العربية منهم ، عن كل ما يؤدى إلى إدارة أو سلطان ، أو يشعر بتقدير وعرفان ، وفيهم من يحملون من الشهادات التربوية أعلاها ، ومن الثقافة العربية أعمقها ، ومن اللغات الأجنبية أحياها ، على حين ارتقى غيرهم درجات وزارة المعارف صعدا ، فتفاوت النظراء وتباين المثلاء ، ولولا بقية من إيمان لأصحاب اللغة ، تدريسا وطريقة وإنتاجا ، شر كبير . فليس أقتل لحيوية العامل من الإهمال ، وليس أقضى على نشاط الذكى من الجحود ، ولا أجهز على إخلاص المنتج من نكران الجميل !

كان هؤلاء الرجال يقاومون ذلك كله فى عناد وصلابة فبلغوا مما يؤملون شيئا ، وبقى دون حقوقهم كاملة طريق طويل ، مملوء بالأشواك والمتاعب ، ويتطلب الكثير من التكاتف والتساند والتضحيات ؛ فوزارة المعارف ذات الوكلاء الأربعة ، والمستشار الفنى والسكرتير العام ،

لم تخجل من نفسها يوما ، فتتخير من أصحاب الثقافة العربية ولو واحدا ، ليمثلهم فى مناصب الوزارة العليا ، رغم أن ثقافتهم غاية وغيرها وسيلة ، وأن عددهم يربو على نصف الموظفين ، وفيهم قدامى قاربوا الستين ، ونبغاء يحملون أرقى الشهادات ، إن لم تزد على ما يحمل وكلاؤها فلا تقل عنهم بحال !

* * *

حتى إذا رفعت مصر رأسها بعد ركوع طويل ، ظن أصحاب الحق الهضيم فى وزارة المعارف ، أن الظالم سترد إلى أهلها ، وإذ هم يلوحون بحقوقهم فى حياء الأبى ومظهر المتواضع ، حتى لا يثيروا ضجيجا ولا يحدثوا فرقة ، إذا بالخناجر تغمد فى ظهورهم بلا أسباب ولا مقدمات ، وممن ؟ ... من أشقائهم الأزهريين ، من شباب العربية الذين يمهدون لهم المستقبل ويعبدون لهم الطريق !

أجل ! ... آلاف الشكاوى ترسل إلى شتى الجهات تستبيح أعراضهم ، وتطعنهم فى أعمالهم ، وتنهش دمهم ، وترميهم بكل نقيصة ومذمة ، ولا هدف لها إلا النيل من هؤلاء الأبرياء ، وكان سواد هذه الشكاوى كذبا وتضليلا وافتراء ، وهدفها « إذا لم تستطع هدم الحائط القوى ، فلا بأس من تلطيخه بالأوحال » ! ... وكانت حملة غير شريفة ولا طبيعية ، وكان التوافق فى الشكوى بين من يقيمون فى أسوان ومن يستوطنون الإسكندرية ومن ينزلون القاهرة ، يوحى بأن يدا أثيمة تريد أن تصطاد فى الماء العكر ، وأن تكيد لحماة اللغة العربية ، ليخلو لهم الطريق !

وأشهد أن فجيعة هؤلاء المفتشين كانت بالغة ، كانوا أشبه بأب فقد وحيده ، بعد أن تقدمت به السن وأدبر عنه الشباب . لقد زرعوا ليحصد غيرهم ، وغرسوا ليجنى سواهم ، وهم الساعة يتحسسون كلمة شكر على ما حملوا من رسالة ، وأدوا من أمانة ، فلا يجدون . لقد كانوا من أنصار العدل المطلق دواما ، وكان ذلك يدفعهم إلى الدقة فى التقدير ، والقسوة على المهمل ، لأنهم أصحاب رسالة أولا ، ولأنهم يطالبون بحقوق لهم ولأندادهم مغصوبة ثانيا ، وليس أقوى لك ، ولا أسند لظهرك ، حين تطالب بحقك من أداء واجبك كاملا !

ثم تطور الأمر إلى حملة تشهير أخرى ، فجاوز نطاق الشكاوى الملومة والمجهولة إلى الصحف ، يستدرون عطف كتابها ، ويستثيرونهم على أناس ، نعدهم نحن أساتذة لنا وموجهين ، على رغم ما قد ينشب بيننا وبينهم من خلاف أحيانا . وأخذت الحالة لبوسا جديدا ، فكانت حملة قاسية عنيفة ، من كاتب كبير فى صحيفة ذائعة على خريجى دار العلوم ، فكتبت سطورا أدفع بها ما ترى به طائفتى من شر ، بإظهار الحقيقة كاملة ، وبيان ما تحمل هذه الدعوى فى طياتها من غرض خبيث ، وما تهدف إليه من إشاعة روح الفرقة والبغضاء !

* * *

وأما الشق الثانى فكان تقريرا لواقع الأزهر فى العشرة أعوام الأخيرة ، ولقد عشت فيه ، وقضيت برحابه زمنا ، فوجدت واقعه عفنا ، وأفسق بعقلى إذا ارتضيته أو دافعت عنه ، أو سكت عليه ، أو واطأت أحدا على بقائه . وما أشبه الذين يرتضونه من أبنائه ، بالقروى الذى لم يطعم غير الجبز ، فهو بظنه أحلى ما فى الوجود من فاكهة . ولم أعتب عليهم أبدا ، لقد كنت أنا مثلهم يوما ! ... وكنا لجهلنا المطبق بما تزدحم به الحياة حولنا ، نظن أن علم الأزهر هو كل ماعرفت الإنسانية من ثقافات ، وأن هذا الكلام الذى يدرسه طلاب المدارس على اختلافها هذر سخيف لا جدوى منه ولا فائدة فيه . وكنا نضرب أياما طوالا ، نهتف فيها من أغوار حناجرنا « افتحوا لنا الكلية الحربية .. افتحوا لنا كليات البوليس والآداب » إلى آخر ما كنا نسمع من أسماء الكليات !

كان ذلك من زمن ، وظننت الأزهر — وقد فارقته — قد أصابه مس الحضارة فتغير فى نظمه ، وتطورت عقليته ، كما تغيرت فى مصر أشياء كثيرة ، حتى إذا سمعتهم يهتفون أمام اللواء محمد نجيب حين زارهم ، « افتحوا لنا الكلية الحربية » عرفت أن الحال كما هو ، وأن أشقاءنا الأزهريين ، يعيشون فى واد تقطعت به أسباب الحياة !

ولا أزال أذكر من هذا الواقع حتى الساعة ، كيف قدمنا للأزهر للمرة الأولى ، صغار السن طرايا العقل ، فاستقبلنا بالسخف الذى يستقبل به طلابه حتى الآن ، أى المذاهب تختارون ؟ ... مذهب أبى حنيفة ، أم مالك أم الشافعى أم ابن حنبل ؟ ولم نكن نعرف عن واحد من هؤلاء شيئا ، فمن كان والده على شئ من الدهاء ، اختار له مذهب أبى حنيفة ليصبح قاضيا شرعيا ، أما الباقون فيتابعون السير هكذا عميا ، حتى إذا استقر بنا المقام بدأنا نتعصب لهذه المذاهب ، ونتقاتل عليها ، كل يزعم لإمامه العلم والفضل ، وكان المالكية يباهون بأن إمامهم ، مكتوب على فخذه الأيمن أو الأيسر — لست أدرى — بقلم القدرة ، « مالك حجة الله فى أرضه » إلى آخر ما تحكى الكتب من خرافات وأباطيل !

وكان هذا التعصب الأعمى وضيق الأفق ، ينمو معنا شيئا فشيئا ، وهو مفتاح لمعرفة كنه كثير من المشكلات الأزهرية ، فهم فى المعهد الواحد يتعصبون للمذاهب ، وفى الكليات المجتمعة يتعصبون للأقاليم ، وفى الوظائف يتعصبون للأشخاص ، وفى المدارس يتعصبون على دار العلوم ، متابعة لطرائقهم هناك ليس إلا !

وقد فتح هذا التعصب للمذاهب والأشخاص والأحزاب أبوابا لمساومات كان ضحيتها العلم والثقافة دائما ، فانحط مستوى الطلاب انحطاطا بشعا ، انحطاطا دفع أستاذا كبيرا للفلسفة فى دار العلوم ، ندب لتصحيح المنطق بالشهادة العالية لكلية اللغة العربية ، أن يرفض ذلك ، سموا بمنصبه من أن يتخذ ستارا ، وباسمه من أن يستغل لستر ما شهد من فضائح . لقد وجد أن ما درس الطلاب الشهادة العالية فى عام كامل ، ست عشرة صحيفة من كتاب « المنطق التوجيهى » المقرر على طلبة التوجيهية وفى حدود هذه الصفحات التافهة وضع الامتحان !

وكان سباق الأزهر إلى الوراء داعيا إلى الأسى والرثاء ، يضرب الطلاب عاما كاملا ، لا يحضرون فيه غير أسابيع معدودة ، ثم تكون نتائج امتحانات النقل ٩٠ ٪ أو تزيد ... كانت عملية « تفريغ » من نوع فريد ، ينقل الذين فى السنة الأولى إلى الثانية ، والذين فى الثانية إلى الثالثة ، وهكذا ، ويمنح الذين يتخرجون فيه شهادات تحسب له وتعد عليه ، وكاد الغش الجماعى ، إن صح هذا التعبير ، معروفا وذائعا ومرضيا عنه !

وقد حاول الخيرون من أصحاب الضمائر الحية أن يوقفوا هذه الموجة المدمرة ، فكان نصيبهم أن أبعدوا أو اضطهدوا . وأذكر أن الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت وقف من عامين ، وكان رئيسا لامتحان شهادة العالية ، يعلن بأعلى صوته « إن الأزهر يتصدق بشهاداته على الفقراء ! ... » فأبعدوه عنها واختاروا سواه ، على ما هو عليه من علم وفضل وخلق ،

وشيئا فشيئا حطم الفساد فى الأزهر كل معانى الفضيلة والاستقامة ، فكان الطلاب يقيمون فى بلادهم طوال العام ، يعملون فى التدريس أو شيئا آخر ، ولا يحضرون القاهرة إلا ليؤدوا الامتحان . ومع ذلك كله ، كانوا يكتبون حاضرين يوميا ، ويخول لهم ذلك حق الاستيلاء على المكافأة والجراية وبدل الغذاء وبدل الكتب ، وهى مبالغ تخول لصاحبها حياة نظيفة ، لو كان مخلصا للعلم راغبا فيه ، مقبلا عليه . وآسف جدا أن أقرر ، أن ذلك فتح سوقا نافقة للرشوة ، وللاتجار بالضمائر والتلاعب فى السجلات !

٣ ـ كوليرج

للكاتب الناقد. اى. تى. كيلركوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تتمة

قبل أن نلوم ضعف كوليرج الإنسانى ، دعنا نسأل أنفسنا عما إذا كان من الممكن لأى إنسان أن ينظم قصائد متعاقبة من طراز النوتى القديم ، ولكن إن فرضنا الإعجاز — وهو ما كان موهوبا به — فإنه (أى الإعجاز) ليست له القدرة الكافية بإلزام الرجل على إنهاك نفسه . أو بكلمة أخرى دعنا نبحث ونتساءل عما إذا كان انقطاع الفيض القدسى مرده ضعفه أم سببه هو استنزاف تلك القوة الخفية ؟ وهو ما نعتقده ونؤمن به . والجواب القاطع عن مثل هذا السؤال موجود فى قصيدته (كرستابل) كما أن قصيدته (قوبلاى خان) تشد أزر مثل هـذا الرأى وتعززه بدليل آخر بلا أدنى شك ولا أقل ريب . يحدثنا كوليرج نفسه بذلك فيذهب إلى القول بأنه شرع بنظم (كرستابل) فى سـنة ١٧٩٧ ، أى إما أن يقول ذلك قبل أو فى غضون نظمه (للنوتى القديم . وقد امتازت هـذه الفترة بخلوها من تعاطى الأفيون . ومع هذا فكل من يحاول أن يقلب الصفحات الأولى من (كرستابل) سـيرى بعينه أنه من المستحيل إتمامها بأية حالة كانت . ولا شك أن كوليرج اعتقـد جازما بأن فى قدرته إكمالها ، ولـكنه فى نضاله لتحقيق ذلك كان يجالد أعـداء أقوى من الأفيون وذلك لأنه كان يقارع القادر التى تتحكم فى مصائر الأشياء كيفما تشاء ، فتنتهى على الصورة التى تريدها وبالـكيفية التى ترضاها

أما نغمات (كرستابل) التى أجاد فى وضعها الشاعر ، فهى تعانى فى آذاننا نوعا من التداعى والارتبـاط بجلجلة

وكان هذا الانصراف عن الدرس ، أخطر ما قضى على كيان الأزهر الثقافى قضاء تاما ، فليست الثقافة كتابا يحفظ ، وإلا كانت مصر فى غنى عن الجامعات والمعاهـد العليا ، ولـكنها تفاعل بين مستويات متباينة ، يـكون الفرد فيهـا قدوة لغيره فى ناحية ، ومقتديا فى نواح أخر كثيرة ، وباحثا عن مثله الأعلى فى هذا المحيط . وقد يجده فيه ، وقد يجده فى الطريق أو فى محاضرة ، أو فى مكتبـة أو فى صحيفة ، أو فى ناد أو فى زمالة ، وهى هواد لا توجد فى محيط القرية المصرية بحال !

* * *

ماذا تنكرون مما أقول ؟

إن المثقفين من شبـاب الأزهر يعرفون ما أعرف وزيادة . والفارق بيننا ، أنهم يعالجون الأمر فى مقـالات ملساء ، وأصوات خافتة ، وهمسات ناعمة ، أما أنا ، فأرى أن الفساد أقوى من أن يزعجه النصح الضاحك ، وأعتى من أن يوقفه الإرشاد الحيى ، وأخطر من أن نسكت عليه أو نساومه !

لقد خرجنا من الأزهر بعاهات مستديمة ... عاهات أصبنا بها فى عقولنا وفى ثقافتنا ، وفى أذواقنا وفى شبابنا ، ولن نرضى لإخواننا أن يصابوا بها ، أو أن يذهبـوا ضحايا لها ، ولن نيأس من الدعوة إلى الإصـلاح أبدا ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الـكافرون ،

* * *

هذا هو الحق ، لا تضطربوا ! ...

هذا هو الواقع ، لا تنزعجوا ! ...

الجبناء وحدهم هم الذين يسكتون على ما يعرفون من جرائم وآثام !

الطاهر أحمد مكى

(سكوت) كما هى الحال وبصورة أسوأ مع بايرون الذى استعارها بدوره من سكوت . ولا تزال هذه الفظاظة على شدتها فى أيامنا هذه ، لدرجة أن إيقاعها الموسيقى أسف إسفافا كبيرا ... والخلاصة أن هنالك كثيرا ممن يرى فى (كرستابل) زيفا لا معنى له متناثرا هنا وهناك ، ومع ذلك فإن أصالتهـا وجمالها فى بعض الأبيات ممـا يدهش ويبعث على الغبطة والسرور . أما (قوبلاى خان) — فحتى إذا فرضنا أن ذلك الشخص من (بورلوك)[1] لم يبترها — فكيف لنـا أن نتصور بأن فى الإمكان إتمـامها أو حتى الاستمرار بها قليلا . ولـكنها مع كل ذلك ، أعظم قطعة ساحرة تخلب الألباب وتسلب الأذهان فى الشعر الإنجليزى على الأطلاق . وبعد مضى ثلاثة أسـابيع من تلك الليلة الزاهرة التى أتم فيها أغنيته الخالدة (أغنى النوتى القديم) سار ورفاقه يوما مامنشدا إياها وكان فى معيته آنئذ وردزورث وقد قال كوليرج عنه فى سياق إحدى رسائله إلى أصدقائه « أنه . أى ورد زورث) يتقدم تقدما متواصلا فى مجـالى الشعر وأنه يشعر بأن البلاد تزداد حسنا وجمالا فى كل يوم) وقد أصبح لبهاء هذا الصيف (فى كوانتوك) مكانه اللائق به فى سجل تأريخنا الأدبى . لقد انتهى موسم حصاد كوليرج، وبدأ موسم ورد زورث الذى بدا زاهرا باهرا فيه الآمال العراض والأمانى العذاب . وبعد ذلك حدث أن ارتحل الأخ والأخت من (الفوكسدن) فى منتصف الصيف ، وفى أيلول لقيهم كوليرج فى لندن فأبحروا جميعا فى سفرة رائعة إلى هامبورغ فى ألمانيا . ومن الملاحظ فى هذا الخصوص أن (الأغانى) التى نظمها ورد زورث طبعت من قبل عدة أيام من أهـداء كوليرج (للنوتى القديم) و (البلبل) و (حكاية المرضعة) و (الزنزانة) . وقـد أطلق كل من الصديقين قذيفته وذهبـا فرحين كل إلى جهة معينة . أما قذيفة ورد زورث فكانت بمثابة صاعقة بكل ما فى هـذه الـكلمة من معنى ، ولو أن بريطانيا قابلتها ببرودتها المعهودة

ولـكن السيدة كوليرج علقت على ذلك بقولها « لا يحب الأغانى أحـد قط ! » . ولم تمض عـدة أيام على وصول الأصدقاء إلى هامبورغ حتى انفرط عقدهم ، فارتحل كوليرج إلى (راتزبورغ) وفى نيته تعلم اللغة الألمانية ومن هنـاك عاد إلى (نيذر ستاوى) فى تموز عام ١٧٩٩ . وفى نهـاية السنة لقى عائلة ورد زورث وطاف معهم فى منطقة البحيرات وبعد ذلك استقر آل ورد زورث فى (دوف كوتيج) فى (كرايمر) وفى تموز من السنة التالية انتقل كوليرج إلى جوارهم فى (كريتا هول ، كيزوك) على مقربة اثنى عشر ميـلا منهم . وكان ورد زورث فى إبان نشاطه ووفوة قوته فى هذه الاثناء ، ومع هـذا فإن التعارف الجديد لم يجلب لـكوليرج ربيعا جديدا . فساوذى لن تعاد مرة أخرى . وهنا لسوء الحظ أو لحسنه يمـكن أن تنتهى القصة لسوء الحظ لأن فترة نظم الشعر انقضى أجلها وذهب ريحها ، وفى ذلك يقول كوليرج بالذات « إنه نبذ الشعر ملتمسا النجاة فى الميتافيزيقا » زد على ذلك أنه أسلم نفسه نهائيـا إلى عبودية الأفيون؛ ولحسن الحظ أن نهاية هذه الفترة تحول بيننا وبين اقتفاء أثره فى سفرته إلى برستول ومالطة ، وما تخلل ذلك من منازعات ومصالحات وعهود واختـلاطات وعودة إلى الأفيـون وشفائه منه جزئيا ثم ارتكاسـه وانتكاسه ويأسه ثم غروب شمس حياته النبيلة الطيبة فى دار (جلمان) فى (هاى جيت)

وعلى كل حال دعنا نلاحظ شيئين قبل الاقتناع بمـا يدلى به بعض الذين يكتبون بسخرية عن كوليرج وضعفه . فأولا أنه كافح وجالد وقارع فى أعمق مهاوى اليأس فخرج منتصرا فى نهاية الأمر . لقد نال النصر بعد أن قـدم فى سـبيل ذلك ثمنا باهظا جدا . ولقد أصاب هـذا النضال الشاق الدامى مئات من الـكفايات الممتازة التى كان يتمتع بها ، ولـكن الرجل بالرغم من هذه الجروح والـكلوم التى استنزفت دماء حيـاته ، وخرج وبيده المرتعشة كأس النصر وعلى رأسه الدامى أكليل الغار . أضف إلى ذلك

(١) شخصية خيالية

أن علينا أن نلحظ أثناء مطالعتنا للمنازعات والخصومات وما تبع ذلك من سوء التفاهم المزمن بينه وبين أصدقائه بأن الوقت كلما محا سببا من أسبابه هذه الأمور التافهة ظهرت طيبة كوليرج الطبيعية جلية واضحة سافرة عارية. وكيف أن كوليرج — بمرور الأيام — يخرج بريئا من كل التهم التي الصقت به جزافا بدافع الضغينة والحسد. لقد عرف كوليرج ضعفه واعترف به، ولكنه، على الأقل تملم من ذلك الرقة والشفقة حيال ضعف أصدقائه ... ولكن هذا المزاج الرقيق جعله مبهما وغامضا لدى جماعة ساوذي وهازلت، كما جعله غريبا عند ورد زورث ذي الشخصية المركزية

وهكذا فبهاء فكره هو الذي عزله عن محيط أصدقائه ... فالعدل والإنصاف يوجبان علينا تصور كوليرج عندما كان قوة مؤثرة في محبيه والملتفين حوله في أيام عزه، وليس كوليرج أيام (هاى جيت) المتأخرة، ذلك العملاق الذي انهار صرح مجده وانهدت أركان قوته والذي مسخ صورته كارليل مما ألصق به عيبا لا يمحى؛ ولا حتى كوليرج سنة ١٨١٦، الذي طاب للامب أن يصنعه (رئيس الملائكة الذي أصابه البلى) في رسالة صداقية إلى وردزورث. فليس هذا هو الذي يحببنا بكوليرج، بل الذي يجذبنا اليه ويجعلنا نتعلق به هو تلك الشخصية السامية التي غدت ذكرى عاطرة وفكرة باقية في ذهن لامب وعلى شفتيه في تلك الأيام القليلة التي ظل متعلقا بها بإهاب الحياة بعده. وقد قال بصدد ذلك :.(لقد مات كوليرج، ولكن روحه العظيمة الحبيبة لا تزال تكثر من الترداد على. لم أر مثيلا له ولا يحتمل أن يرى العالم ذلك مرة أخرى. ويظهر أنني أحب البيت الذي قضى فيه نحبه بانفعال أشد من الوقت الذي كان يسكن فيه، فما كان مسكناله أصبح لدى معبدا)... ومع ذلك فان الناس سيظلون يتخيلون ويخمنون فيما كان يمكن أن يتركه كوليرج من كنوز لو أنه لم يشرب الافيون أو لو أنه تمكن من نبذ الميتافيزيقا أو لو أنه اقترن بدوروثي وردزورث، أو لو أنه أخذ بنصح أصدقائه الذين أرادوا إنقاذه. وقد كتب بهذا الخصوص الدكتور جارنيت قائلا: عاش كوليرج حتى عام ١٨٣٤، ولو أن كل سنة من حياته أنتجت ما أنتجه محصول سنة ١٧٩٣ لأصبح إنتاجه أعظم كمية ونوعية من إنتاج معاصريه جميعا. وأما منا بعد كل هذا، هذا السؤال الملح: أيهما كان مدينا لصاحبه كوليرج أم وردزورث في غضون مكثهما في (كوانتوك)؟ وهذا السؤال — كما يعتقد السرتوماس براون — سؤال محير. ولم نثر هذا السؤال إلا لأعتقادنا بانه لم يوضع له جواب مقنع الى الآن. ومن المعتاد أن يجادل بعضهم في هذا ذاهبين إلى أن كوليرج استلم أكثر مما أعطى لأنه كان أكثر تأثيرا في صاحبه، ولكننا نعارض هذا الرأى لأننا نعتقد بأنه أعطى أكثر مما استلم لأن مجرد وجوده، بما امتاز به من قوة إيحائية، جعلت هيمنة شخصيته واضحة الأثر في خدينه. وما لنا (للتدليل على ذلك) إلا أن نلاحظ بعض الحوادث في هذا الباب. فقد نظم كوليرج قصيدته (مظلة شجرة الليمون) في سنة ١٨٩٨، و (البرد في منتصف الليل) في شباط ١٧٧٨، أما قصيدته الجليلة (البلبل) فهي تعود إلى صيف ١٧٧٨، والذي نراه في هذه القصائد أنها أعظم مما أنتجه وردزورث ولو أنها ندعى الآن (وردزورثية)، ومع ذلك فان وردزورث لم يبلغ ذروة شاعريته في سنة ١٧٩٨ اللهم إلا باستثناء قصيدته (الشوك). فبينما كان كوليرج ينظم قصائده الرائعة كان وردزورث يكتب (سيمون لى) و (جودى بليك) التافهتين. وهكذا لم يتمكن وردزورث من نظم ماله قيمة إلا بعد أن كان كوليرج قد أدى مهمته خير الإداء، وبذا يكون كوليرج هو الذي علم وردزورث الألحان العذاب فحسنها هذا الأخير بدوره. أما ألحان قصيدة (النوتي القديم) فكانت فريدة في بابها عجيبة في صياغتها، بحيث لم يأت شاعر بمثلها لا من قبل ولا من بعد، حتى شكسبير لم يكد يبلغ أوجها على قيثارة (إيريل)

العراق، بعقوبة: يوسف عبد المسيح ثروت

الشجرة الرائدة

للأستاذ أحمد زكي أبو شادي

سيطر الصقيع على الغابة ، وأخذت الرياح الباردة تضرب الأغصان بعضها ببعض . كانت الأيام باردة نهارا وقارسة ليلا . ولكن إحساسا باقبال الربيع نشأ فى الغابة ؛ وإذ نشأ هذا الإحساس واجهه شعور آخر مضاد ، وهو الخوف من أن يؤدى التبدل إلى عاقبة أوخم . فقالت كل شجرة لنفسها : « لن أجرأ على أن أكون الرائدة فى الاعتراف بالربيع حتى لا تصاب براعيمى بأذى » . وراحت سنديانة عتيقة تحذر جارة لها من عقبى التسرع . فأجابتها جارتها قائلة : «أيتها السنديانة التى كثيرا ماضربتها الرياح ! ألا يبهجك مهرجان الحياة التى يأتى بها الربيع ؟ » فساد السكون أياماً ، ثم جاء صبح تمكنت فيه أشعة الشمس من مداعبة شجر الحور ، فتفتقت إحداها ، ثم تبعتها بقية الغابة !

* * *

سيطر البرد والصقيع على الغابة   واشتد عصف قاسى الرياح
لم يبال البرد الغشوم بكنز   مستسر[1] فى هذه الأرواح
أو لعل الصقيع والبرد كانا   يحرسان الحياة بالترهيب
فالبراعيم ملؤها خطرات   حالمات فى مهدهن العجيب
وتمشى فى الغابة الحب والشو   ق لدانى الربيع وهو بعيد
أترى كانت البراعيم سكرى   أم توارت وكلهن شهود؟
أيحس النبات إحساس صوفى   وإحساس شاعر مسجون
هامساً بالصلاة تنشق فى الجو   حناناً ورعشة للغصون ؟
ثم ساد الأشجار خوف غريب   من جديد بكون شر البديل
ربما كان مرهق اليوم نعمى   حين تلقى الغد المخيف الوبيل
ومضت وهى فى التياع تناجى   نفسها ، لا تود مرأى الربيع
لا تود اعترافها بقدوم   موشك قد يخونها للصقيع
فبراعيمها حياة لآتيهـــا   ، وإيذاؤها هوان وموت
هى أولادها ، كأن قصيداً   قدحواها فهن بيت وبيت !
ومضت سنديانة ضربتها   قاسيات الرياح عمراً طويل
فى حذار تقول للجارة العقبى   إذا جازفت وجود هزيل
فأجابت: ألا تسرين من مو   كب هذى الحياة حول الربيع؟
وإيه يا جارتى ! لقد خانك الرأى   ، فان الربيع رب وديع !
إنه واهب الحياة وإن لم   يبق فى ركبه سوى أيام
إنه الخالد المجدد فينـــا   حلو أعمارنا بعام وعام !
فأفاض السكون حساً عجيباً   بعد صمت كالسحر ران عليها
ثم وافى صبح تجلت به الشمس   بإشعاعها حناناً لديها
داعبت فى شعاعها شجر الحور   فذر[2] الصبا الزمرد عنها
واستفاقت فى إثرها شجرات   فتزيت بكل مارف منها !

* * *

ذاك سر للغابة احتضنته   وهو سر النهوض فى كل حى
ثورة للتحرر المتناهى   واحتقـــار للعجز فى كل شى
من يبالى الرياح والبرد لم يسلم   ، ومن هم لم يخنه نهوضه
من يهاب الأخطار حامت حواليه   ، ومازل من حماه ركوضه
كم شعوب خوف الممات من الموت   تمانى ، ومالها من رائد
هى نهب للجهل والسقم والفقر   ، وصيد محلل للصائد !
فلنحى الأشجار فى الغابة الحرة   ، ولنحى ذكرها فى العظات
ولنمجد روح الريادة فيها   تلك روح كفيلة بالحياة
كم رموز ملء الوجود تناجينا   وتوحى لنا دروس الخلاص
ليس حتماً على الأنام ممات   ، إنما الموت صورة من قصاص
ولتكرم من يرفض الموت والذل   ، ومن جاء بالبشارة فينا
والذى أخرج الضياء من الظلمة   حتى أعز شعبا مهينا !

نيويورك :   **أحمد زكى أبوشادى**

(١) مستسر — مستتر ومتوار

(٢) فذر — فأطلع



الشاعر الأمريكي همنجوى

يعد إرنست همنجوى فى طليعة الكتاب الأمريكيين المعاصرين بل أحد كبار أدباء العالم الأحياء . وقد صدر له مؤخرا كتاب صغير بعنوان « الرجل المسن والبحر » لا يتجاوز ٢٧ ألف كلمة ، كتبه هو وفى مصيفه فى كوبا . وقد أثار هذا الكتاب فضول النقاد وجمهور القراء قبل صدوره ؛ وذلك لأن مجلة «لايف» الأمريكية التى يزيد عدد مايباع منها على خمسة ملايين نسخة نشرت الكتاب بأكمله فى عدد من أعدادها قبل أن تذيعه دار النشر بأحد عشر يوما

وللمرة الأولى فى التاريخ ينشر كتاب بأكمله فى عدد واحد من مجلة ما . وقد علق المؤلف الذى تقاضى من المجلة المذكورة أكثر من ثلاثين ألف دولار على ذلك بقوله : لقد استفزتنى فكرة نشر المجلة للكتاب بحيث يكون فى متناول مئات الآلاف من القراء مقابل عشرين سنتا . وقد سرنى هذا العمل أكثر مما لو كنت ربحت جائزة «نوبل»

وقد مهدت المجلة للكتاب بكلمة مناسبة وأرسلت قبل نشره بعدة أسابيع مسودة كاملة منه لمئات النقاد والصحفيين . أما موضوع الكتاب فهو أن صيادا مسنا من كوبا بعد أن قضى ٨٤ يوما متجولا بزورقه فى البحر دون أن يصطاد شيئا أمسكت صنارته فى اليوم الخامس والثمانين سمكة ضخمة . ولما كان وحيدا لم يستطع جذب صنارته بصيدها الثقيل ولا شد حبلها إلى الزورق فاضطر إلى أن يظل فى جذب ودفع مع السمكة أياما وليالى يمضه الجوع والتعب والألم وعجز الحبل يده . وأخيرا تمكن من إمساك السمكة وربطها إلى زورقه ، ولكنه عاد يكافح فى طريقه كلاب البحر ويحاول ردهم عن السمكة . غير أنه لم يبلغ الشاطئ إلا بعد أن كانت كلاب البحر قد نهشت السمكة ولم تبق له منها سوى هيكلها العظمى

هذه هى القصة ببساطتها وروعتها وهى تعد فى نظر القسم الأكبر من النقاد ابدع ما كتبه همنجوى حتى الآن . أما هو فقد قال عنها إنها زبدة ما تعلمه فى حياته

من شروط القصة

انصرفت أفكار الكتاب أخيرا إلى البحث فى حدود القصة وشروطها وأهدافها . ومثل ذلك قام به كتاب القرن الماضى أمثال ستندال وهوجو وبلزاك وجورج صند وفلوبير . وقد كان لكل من هؤلاء الكتاب رأيه الخاص فى الأدب القصصى الذى انصرفوا إليه

كان فيكتور هوجو يحمل بشدة على القصص النقلية والوصفية والإنشائية داعيا الكتاب إلى هجر هذا النوع من الأدب القصصى والاعتياض عنه بالأدب التصويرى الذى يعبر عن المثل المفيد والقدوة الحسنة والفكرة الناضجة بحيث تكون القصة صورة أمينة للحياة

وكان ستيندال يؤثر القصة التى ترتكز على حوادث بسيطة حقيقية مكتوبة بلغة سهلة وأسلوب طبيعى يكون مفهوما من كل طبقات القراء . ولم يكن أبغض إليه من تلك الوثبات البيانية والبلاغة الانشائية لاعتقاده أنها تصرف الفكر عن إدراك ما فى القصة من الحوادث والمرامى والفكر

وكانت جورج صند تعتبر القصة واسطة لإيقاظ العاطفة التى توحى الموضوع ، ولكن بشرط أن يستقيم الموضوع فى إطار من الشعور الواقعى العميق

أما فلوبر فقد كان رأيه مخالفا لرأى جورج صند ، كان يريد أن تكون القصة سجلا لحوادث وأفكار ومشاهد واقعية بحتة

وكان بلزاك ، وهو أقدر من عالج الأدب القصصي ، يصرح قائلا أن الحقيقة الأدبية هي غير الحقيقة الطبيعية وهي تقضي على القصصي أن يغير ويبدل في أشخاص روايته بحيث يتحولون إلى أشخاص رمزيين ، وأن يقلل ما استطاع من تمسكه بالأشخاص الطبيعيين . ومن قوله أن للقصة غاية تهذيبية تجبره على تصوير الشر ولكن بشرط أن يرفق هذا التصوير بفكرة أدبية بالغة

هذه هي آراء بعض كتاب القرن الماضي في القصة . أما كتاب هذا القرن أمثال بروست وجوليني وغيرها فقد انصرفوا من مدة غير بعيدة إلى معالجة هذا الموضوع ولكنهم لم ينتهوا حتى اليوم إلى نقطة حاسمة

رأي جديد في جان دارك

أصدر الكاتب المؤرخ جان جريمود مؤلفا حديثا بعنوان « هل أحرقوا جان دارك ؟ » أنكر فيه قداسة جان دارك معبودة الشعب الفرنسي وأولى بطلاته . وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة في دوائر الأدب وبين أحبار الكنيسة الكاثوليكية الذين راحوا يناقشون مؤلفه ويسفهون أقواله . يقول جان جريمود في كتابه إن الإنجليز لم يحرقوا عذراء أورليان في عام ١٤٣١ بل عفوا عنها وأطلقوا سراحها . وهو يستند في قوله هذا إلى ما يأتي : أولا — أن جان دارك التي يقال إنها ابنة لا بوين فقيرين هي في الحقيقة ابنة لقيطة لدوق أورليان شقيق كارلوس السابع واليزابث دي بافيرا وقد تبنتها أسرة أرك . ثانيا — أن الإنجليز لم يحرقوا جان دارك بل أحرقوا بدلها ساحرة محكوم عليها بالإعدام . ثالثا — أن جان دارك عادت إلى لورانا وتزوجت من شريف خامل الذكر يدعى روبرت دي ارمواز

ومن الذين ردوا على جريمود الراهب اليسوعي دونكير الذي جعل حياته لدرس تاريخ جان دارك فقال إن كتاب جريمود مملوء من بالأغلاط فضلا عن خلوه من أية أدلة تاريخية . وفي رأي الكاتب لوسيان فابر ، الذي ربح جائزة جونكور الأدبية ، أن مطالعة كتاب جريمود مسلاة ولكن براهينه واهية لا تقنع . ولكن جريمود يؤكد أن البرهان على أصل جان دارك هو في شعارها الذي يحمل الزنبقتين وأكليل شعار العائلة المالكة ، وأن الفرق الوحيد هو في الخط الذي يخترق الشعار للدلالة على أصلها . ومن قوله أيضا أن جان دارك قابلت كارلوس السابع في قصر شينون وكشفت له عن أصلها ، وأن الإنكليز الذين أسروها وحاكموها كانوا يعرفون جيدا من هي أسيرتهم ، وأن جان دارك اختفت بصورة غامضة خلال خمس سنوات قضتها في انكلترا ، وأن المرأة التي أحرقت كانت ساحرة حكم عليها بالإعدام ، وأنهم خلافا لما جرت عليه العادة لم يسمحوا للجمهور بالاقتراب من المحرقة ، وأنهم ستروا وجه الضحية بنقاب كثيف حتى لا تعرف . ومن الأدلة التي أوردها جريمود على صحة قوله أن جان دارك عادت إلى لورانا لتقترن بالشريف روبرت دي ارمواز في أرلون من أعمال لوكسمبورغ ، وأن وثيقة الزواج التي وقعها رئيس كهنة سانت تيبود في متز بتاريخ اليوم السابع من شهر نوفمبر عام ١٤٣٦ تقول : « نحن روبرت دي ارمواز وجان عذراء فرنسا الخ » تثبت أقواله . ومما قاله أيضا أنه سيخصص كل أيام حياته لاكتشاف وثائق جديدة من شأنها أماطة اللثام عن هذه القضية

مذنب عام ١٩٥٤

يقترب الآن من الشمس المذنب المدعو (بون — بروكس) وهو من المذنبات الساطعة المعدودة في الدرجة الخامسة من الإشراق . وستمكن رؤيته بالعين المجردة في طور اقترابه الأخير ويكون موعد تدانيه الأقصى من الشمس في السابع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٥٤

وظهر هذا المذنب للمرة الأخيرة منذ زهاء السبعين عاما في صيف ١٨٨٣ — ١٨٨٤ وكان يعد حينذاك في

الدرجة الرابعة من الإشراق وظل باديا للعيان مدى ثلاثة أشهر

أما كاشف هذا المذنب فهو الفلكي الفرنسي جان لويس بون . وقد كشف فى حياته من هذه الأجرام السماوية أكبر عدد تمكن من كشفه عالم واحد حتى اليوم ، ويكفى أن نعلم أنه أعلن وجود ٢٧ نجما منها

ولما عاد المذنب المذكور إلى الظهور عام ١٨٨٣ كشف مركزه العالم و . ر . بروكس وهو كاشف عدة مذنبات أيضا ولذلك نرى هذا المذنب يحمل اسم ذينك العالمين معا

دواء ذرى جديد لأمراض القلب

فى برقية من شيكاغو أن عددا من أطباء أحد مستشفيات لوس انجليس كشفوا دواء جديدا لأمراض القلب سموه « المقبل الذرى » . ويؤخذ من المعلومات التى أدلى بها هؤلاء الأطباء إلى زملائهم أعضاء الجمعية الطبية الأمريكية أن الدواء الجديد محلول من اليود محضر فى فرن ذرى يحول بهذه العملية إلى أشعة فعالة . ومن معلومات هؤلاء الأطباء أيضا أن لليود فى مثل هذه الحال مفعولا فى غدد العنق يؤدى إلى ارتخاء عام فى أعضاء الجسم الرئيسية وهذا الارتخاء يقلل من ضغط الدورة الدموية فيرتاح القلب ولا سيما فى مرض الذبحة الصدرية

كشف أمريكا والعرب

يؤكد الدكتور جفريس من أساتذة علم تاريخ الإنسان الطبيعى فى جامعة فيترسرند ، أن كولومبس لم يكتشف أمريكا بل العرب هم الذين كشفوها قبله بثلاثمائة أو أربعمائة سنة وأنهم دخلوها عن طريق أفريقية الغربية حوالى عام ١١٠٠ ومن أدلة الدكتور جفريس على صحة هذا الرأى أن كولومبس عندما وصل إلى أمريكا وجد فيها مستعمرات صغيرة من الزنوج هم من سلالة العبيد الذين كانوا قدفروا من سادتهم العرب ، كما أن وجود الجماجم فى كهوف جزيرة باهماس يدعم هذا الرأى . ومن أدلته أيضا أن كولومبس وجد فى جزيرة كارايباس زراعة القنب التى جئ بها من أفريقية ، بينما الذرة والمنديوكا التى هى من مزروعات أميركا الخاصة كانت تزرع فى العالم القديم قبل ولادة كولومبس . وهذا يدل على أن الذين نقلوا زراعة القنب إلى أمريكا نقلوا هذه المزروعات إلى بلادهم بما فيها الذرة التى كانت تدعى « الحنطة التركية »

كشف نقود عربية قديمة

من أخبار استوكهلم عاصمة اسوج أنهم عثروا فى جزيرة غوتلندا الواقعة فى بحر البلطيق على ألف ومائة قطعة من النقود العربية القديمة يعود تاريخها إلى القرن العاشر للتاريخ المسيحى . وجميع هذه النقود من الفضة ، والكتابة فى أربعمائة منها واضحة لم يؤثر فيها مرورالزمن . والاعتقاد السائد هو أن تلك النقود العربية وصلت عن طريق روسيا إلى تلك الجزيرة الشمالية التى كانت فى ذلك العصر مركزا ممتازا للتجارة والثقافة والمعاملات المالية كافة فى عهد قبائل الفنكس التى اشتهرت فى ذلك الحين

محاضرات ومناظرات

حياتنا الأدبية والفنية
على ضوء فلسفة العهد الجديد واتجاهاته

احتشد بقاعة (يورت) بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة السابق آلاف من الناس لسماع هذه المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين ، حتى ضاقت بهم القاعة على رحبها ، وامتاز هذا الجمع الكبير بأنه كان يضم أكبر عدد يمكن أن يضمه جمع مثله من الصفوة المختارة من رجال الأدب والسياسة والتعليم ، واستغرق الدكتور طه حسين في إلقائها ساعة كاملة ، وانتهى منها والناس تكاد أكفهم أن تدمى من التصفيق الملتهب ، ويمكننا أن نلخص للقراء هذه المحاضرة فيما يأتي : —

أيها السادة :

أعترف لكم أنني تعرضت لكثير من الحيرة قبل أن أقدم على إلقاء هذه المحاضرة ؛ فموضوعها غامض من جهة وشائك من جهة أخرى . غامض لأن العهد الجديد — وإن كان شيئا نحسه ونعرفه ونلمسه — فإن فلسفته لم تكتب بعد ولم تؤلف فيه الأسفار ولم تصنف له الكتب ، وأنا — كغيري من الرجال الجامعيين — رجل ينبغي عليه أن يقرأ وأن يرجع إلى الكتب وأن يحيط بالموضوع قبل أن يهم بالحديث أو الكتابة

وهو شائك لأنه قد ينتهي إلى مواطن لا يؤمن فيها الزلل ؛ فأحاديث العهد الجديد — كأحاديث العهد القديم — إذا اتصلت بالسياسة فربما جرت إلى الزلل أو إلى ما هو أكثر من الزلل !

ولكنني اعتمدت على الله — الذي أعتمد عليه دائما في كل أمر — وجئت لتحدث إليكم وأمري وأمركم إلى الله !

وأول ما ينبغي أن نلاحظه إنما هو حال الأدب قبل العهد الجديد ، كيف كان ؟ ومم كان يشكو ؟ وبماذا كان الأدباء يضيقون ؟ والملاحظة اليسيرة تدلنا على أن أول مظهر من مظاهر الأدب قبل أن تشب نار الثورة إنما هو (الخوف) الذي كان يملك على الأدباء أمرهم ويضطرهم إلى كثير من الجهد والحيلة والمناورة والمداورة ليقولوا ما يريدون أن يقولوه — دون أن يتعرضوا لبطش السلطان وتضييق الرقابة ، سواء أكانت هذه الرقابة سافرة عند قيام الأحكام العرفية أو مستخفية كتلك التي كانت تفرضها (النيابة) حين تكون الأحكام العرفية نائمة !

ولا أدري هل كنتم تحسون ذلك الخوف أم لا ؟ وإن كان أغلب الظن أنكم كنتم تحسونه وتلحظونه من بين ثنايا ما تقرءون ، أما أنا فإني أتحدث إليكم عن علم ويقين ؛ ذلك أني كنت أحد الأدباء الذين امتحنوا في العهد القديم ، فقد تحدثت خلاله وكتبت أكثر مما تحدثت وكتبت خلال العهد الجديد ، وأؤكد لكم أنني لم أكن أفرغ يوما أو ليلة لكتاب أو حديث دون أن أستشعر غضب السلطان علي وبطشه بي إذا كان النقد ! والأدباء — والحمد لله — بارعون مكرة مهرة في اصطناع الحيلة للتخلص من بطش السلطان ، بل للعبث بعقل السلطان ! فهم يلتمسون من طرق الرمز ومن التواء التعبير ومن فنون المناورات والمداورات فيما يكتبون وفيما يقولون ما يورط المراقبين في ألوان من الارتباك لا حد لها ! . ولقد كنت في أوربا يوما مع الكاتب الكبير (أندريه جيد) فجاءتنا صحيفة تعلن بأن اسماعيل صدقي — في محاربته للشيوعية — قد استطرد فسن قوانين لعقاب الذين يدعون للعدل الاجتماعي ويطلبون الحرية للناس ، فضقنا بذلك أشد الضيق ، وكتمت في نفسي غيظا بالغا ، وأضمرت عزما على مقاومة هذه القوانين ، فلما عدت إلى مصر — والرقابة في أوج طغيانها — لم أجد أيسر أو أبسط في مقاومة تلك القوانين من أن ألجأ إلى آيات من القرآن الكريم تدعو إلى العدل بين الناس ، وتنادي بحقهم الطبيعي في الحرية

والكرامة ، فأجملها موضوعا لكتاباتى ، فإن استطاع إسماعيل صدقى أن يصادر القرآن الكريم فقد ورط نفسه ووقع فى حرج شديد ، وإن لم يستطع قرئ المقال وسمعت الدعوة إلى العدل الاجتماعى والحرية !

ولم أكن منفردا بهذا المكر والاحتيال بل كان الأدباء جميعهم كذلك ، وكانت بينهم وبين (النيابة) حرب متصلة ، وكانوا يقهرون (النيابة) فى أكثر الأحيان بما يحذقون من مكر واحتيال !

وهذا أمر — وإن نجا الأدباء من عقابيله — فقد كان يفسد على الأدباء تفكيرهم ويجعلهم منغصين دائما ، فليس من الطبيعى ألا تفكر وألا تكتب إلا وأنت تعلم أن وراءك رقيبا يحاسبك ويؤاخذك ويستطيع أن يجرك إلى مالا تحمد عقباه !

تلك كانت الظاهرة الأولى من ظواهر الأدب قبل العهد الجديد ، وأما الظاهرة الأخرى فهى ظاهرة (الرغبة) .

وأنتم تعلمون أن فى الناس ضعافا لا يقدرون على المقاومة ، وإن قدروا يوما فلن يستطيعوا المضى فى المقاومة والثبات على متاعبها ومصاعبها ، وأن فيهم الكثيرين ممن يستهويهم الإغراء وتستذلهم المنفعة . وحياة الأدباء — كما تعلمون — معرضة لكثير من الضيق والعنت والإقلال ، فما أيسر أن يضعف البعض منهم أمام مظاهر الإغراء وملحاته فيضعوا أدبهم موضع التجارة والمساومة ، والأدب الذى ينتهى إلى تلك الخسة والمهانة شر ليس وراءه شر ، وفساد للذوق وللخلق وللنفس ، وليته فساد يقف عند حد منشئه ولكنه يتجاوزه إلى قرائه وقد يكونون آلافا من الناس القليل منهم من يفطن للفساد أو لا يضعف أمامه

ولقد حدثنى الأستاذ مصطفى عبد الرازق رحمه الله أن كاتبا من الكتاب كان له راتب معلوم كل شهر من المصروفات السرية ، فإذا جرى عليه هذا الراتب فى ميقاته المضروب سكت عن كل معارضة ، وصمت عن كل قول يغضب له الإنجليز أو الوزراء الذين يصانعون الإنجليز .

أما إذا تأخر هذا الراتب عن ميعاده المضروب عارض وثار وكتب — وكان سعد فى المنفى — يطالب بعودة (سعد) من منفاه ، فتنتبه إليه السلطة وترسل إليه راتبه فينسى سعدا إلى أن يدور الشهر فيعود فيذكر سعدا !

وهكذا دواليك ! ... هاتان هما الظاهرتان الملحوظتان — فى وضوح كثير — على أدبنا قبل العهد الجديد ، وإذا كنت قد فهمت أحاديث قائد الثورة وخطبه وبياناته — وما أشك فى أنى فهمتها لأنه لا يحسن المداورة ولا يعرف المصانعة ولا يخشى رقيبا ! — فأظن أن أول مظهر لفلسفته إنما هو تحرير المصريين جميعا من الطغيان وهو إذا حرر المصريين من الطغيان فقد حرر أدب المصريين من الخوف ومن الرغبة ومن كل أعقاب الطغيان ، وقد بدأ فى ذلك موفقا من غير شك

فالذين يظنون أن الثورة لم تهد — بعد — إلى الأدب شيئا مخطئون ، فقد أهدت الثورة إلى الأدب أن أتاحت له أن يظهر جليا صريحا سافرا لا يلتوى ولا يداور ولا يحتال ولا يخشى عنتا أو بطشا

لقد كان أدبنا تصويرا للبؤس والحرمان والشقاء والظلم الذى كانت الأمة ترسف فى أغلاله ، كان مرآة للظلام الحالك الذى كانت تحيا فيه الأمة ، والمرآة فى الظلام لا تكاد تعكس شيئا فكنا نفر من هذا الظلام إلى غير مصر ، كنا نبعد فى الزمان ونبعد فى المكان فنتكلم فى التاريخ القديم وفى الأمم القديمة والمعاصرة لنسلى أنفسنا وقراءنا عما نحن فيه من البأساء والضراء

ولكننا اليوم وبعد اليوم سنقبل على حياتنا راغبين فى تصويرها مطمئنين إليها واجدين فيها ألوانا من الأدب وفنونا من القول لم نعرفهما من قبل .. ولكن هذا ليس كل ما ننتظره من الثورة ، فالأدب والفن أزهار لا يمكن أن توجد أو تزدهر فى بلد كثرته جاهلة وقلته متعلمة تعلما ليس خيرا من الجهل إلا قليلا ! وما هو الأدب فى حقيقة

الأمر ؟ وما هو الفن ؟ الأدب والفن هما تفكير وتعبير وكتابة أو قول ، ثم آذان تسمع أو عيون تقرأ ، وقلوب تعى ، وشعور يحس ويتأثر ، وأذواق تذوق فتشعر بالمتعة والجمال ... هذا هو الأدب وهذا هو الفن ، فإذا وجدت القلة التي تفكر وتعبر وتكتب وتتحدث وتذيع ثم لم توجد الكثرة التي تسمع لها أو تتذوق منها ، فإن تلك القلة تكون أشبه شئ بالزهرات التي تظهر فجأة في الصحراء أعقاب الغيث ثم لا تلبث أن تمسها الشمس وتلح عليها فيصيبها الذبول والضمور والزوال ... فلا تريحوا أنفسكم ولا تريحوا حكامكم ولا تريحوا ثورتكم حتى يصبح التعليم ماء وهواء، وحتى يصل إلى الناس في قراهم ومدنهم دون أن يجدوا مشقة أو يلقوا عناء . ولا تصدقوا أن في انتشار التعليم — بجميع مراحله — شرا إلا على الذين يؤثرون أنفسهم بالخير من دون الناس ، أولئك الذين يريدون أن يسودوا ليتخذوا الناس عبيدا !

الإصلاح أقوى دعاية

في قاعة المحاضرات بدار جمعية الشبان المسلمين اجتمع — يوم السبت الأسبق — عدد كبير من صفوة رجال الفكر والعلم لسماع هذه المحاضرة التي ألقاها الأستاذ محمد فؤاد جلال وزير الإرشاد القومي ، والتي اقتطع الأستاذ لإلقائها ساعة ونصف الساعة من اجتماع مجلس الوزراء الذي كان منعقدا في نفس الوقت . وكانت نبرات الأستاذ المحاضر ونغماته — ونغمة الصوت كما يقولون نصف اللغة — تدل على ما بنفس الرجل من رغبة مكينة في الإصلاح الشامل السريع ، وعقب عليه — كشأنه دائما — الدكتور منصور فهمي فكان تعقيبه فيضا من الثناء أسبغه على المحاضر ، والمحاضر ينطوي على نفسه حياء وخجلا ! ونلخص المحاضرة بما يأتي : —

عندما نتكلم عن « الإصلاح » فإنما نتكلم عن شئ فكر فيه الجميع وعالجه الجميع واتفق عليه الناس جميعا . فكلنا يعتقد بضرورة (الإصلاح) ، الفلاح والعامل والموظف والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرهم ، ولكل من هؤلاء أسلوبه الخاص وهدفه الذي يسعى إليه. وتلك الأساليب والأهداف هي — دون سواها — ما يختلف الناس عليه عندما يتكلمون في الإصلاح

والإصلاح هو أن ترى في يومك خيرا مما رأيت في أمسك ، وأن تجد في غدك أحسن مما وجدت في يومك ، أي أن تتجه إلى الأمام دائما دون وقوف أو رجوع إلى الوراء

ولكن : كيف نقوم بهذا الإصلاح ؟ وكيف نحققه في حياتنا الواقعية ؟ إن الإصلاح يجب — ابتداء — أن تكون له في أذهاننا صورة واضحة كاملة حتى يمكن أن نتجه إلى شئ له كيان قائم ومعالم معروفة ، وتلك أولى الخطوات في كل إصلاح بل في كل عمل ، فإن الأفكار إذا لم تتضح جليا قبل تنفيذها بحيث تعرف لنا دقائقها وتفصيلاتها فهيهات أن نستطيع تحقيقها . والإصلاح ينصب على حياة الناس من كافة جوانبها وزواياها ، ولن ينهض إنسان إذا قام منه جانب ومال جانب ، فإن الجانب المائل يشد إليه الجانب الذي سمق وارتفع فإذا بهما منحدران معا إلى منحدرها القديم ؟

والإصلاح لا يقف عند حد ، فما دامت الحياة فهناك إصلاح منشود ، والإنسان طموح دائما ولن يقف طموحه إلا بوقوف نبضات قلبه ! والمصلحون هم نحن أنفسنا دون سوانا ، ولن يصل أحد إلى دخائل نفس الإنسان سوى نفسه ، والفرد هو الوحدة المتكررة التي يتكون منها المجتمع ، فيجب أن يتجه الإصلاح أول ما يتجه إلى عقله وذهنه وسلوكه وبهذا نخلق الوعي بين المواطنين فيصبح طريق الإصلاح ممهدا ويقل ما ننفق في الإصلاح من جهد وننتفع بما ننفق أكبر انتفاع

علي متولي صلاح

أخبار أدبية وعلمية

مؤتمر إسلامي في القاهرة

كانت (الرسالة) أول من دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي بينت الدواعي إليه ورسمت الخطة له وأوضحت الغرض منه في مقال افتتاحي بعنوان (لا بد للاسلام من مؤتمر)

وقد فكر الأزهر اليوم في الدعوة لهذا المؤتمر فقابل وكيله هو والمرشد العام للأخوان الرئيس القائد محمد نجيب وعرضا عليه فكرة عقد مؤتمر إسلامي للشعوب الإسلامية بالقاهرة وأوضحا الأهداف التي ستتناولها أعمال هذا المؤتمر

وقد تلقت مشيخة الأزهر من رياسة مجلس الوزراء أن الحكومة لا تمانع في عقد هذا المؤتمر وأنها ترحب به وأنها ستقدم كل التسهيلات للمشتركين في هذا المؤتمر الشعبي الإسلامي

وقد استقر الرأي على أن يوجه الدعوة إلى زعماء المسلمين والهيئات الدينية في البلاد الإسلامية لحضور المؤتمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

وقد ألفت لجنة لتنظيم أعمال المؤتمر تضم ممثلين من مختلف الهيئات الإسلامية في مصر

والمؤتمر سيبحث بصفة عامة أحوال المسلمين في جميع البلاد وتقوية أواصر المودة بينهم والعمل على ضم صفوفهم

وكان معروفا من قبل أن المؤتمر سيبدأ جلساته في شهر مارس المقبل ، ولكن لضيق الوقت رئي عدم تحديد موعد جلسات المؤتمر الآن حتى تتم الوسائل الخاصة به وعندئذ يكون من السهل تحديد موعد اجتماعه

كتاب الروضة الغناء في أصول الغناء

عثر الأستاذ عثمان الكماك حافظ المكتبة العمومية بتونس على كتاب نفيس نادر من آثار الاندلس القيمة هو كتاب «الروضة الغناء في أصول الغناء» وهو كتاب في علم الموسيقى وأصولها ينتهي فيه المؤلف بعد تحليل كل صوت من الأصوات وذكر فروعها بإيراد الأزجال والموشحات الملحنة في ذلك الصوت والتي كان يتغنى بها في عصور الاندلس الزاهرة

خريطة للقمر

نشرت جريدة فلكية أول خريطة شاملة تنشر في العالم للقمر ، ويقول العالم الذي علق على هذه الخريطة أنه لا بد أن يكون في القمر سهل فسيح الأرجاء يغطي جزءا كبيرا من المنطقة التي يمكن أن تسمى بالشمالية من هذا الكوكب السيار ، أما الجنوب ففيه أودية عميقة وجبال عالية تؤلف قممها الشكل الذي يبدو على سطح القمر وكأنه وجه إنسان ، وقد استغرق العمل في إعداد هذه الخريطة ١٤ سنة ، وقد صنع الأصل على شكل كروي قطره خمسة أمتار

والمعروف أن أكثر هذه الخرائط يعتمد على الصور التي تلتقط للقمر في أوقات شتى بواسطة الناظير القربة (ألتلسكوب)

جامعة عائمة يقترحها أغا خان

كتبت الصحيفة الباكستانية (كريتيك) أن أغاخان سيطالب في المستقبل القريب بتمويل « جامعة إسلامية عائمة » تنشأ على ظهر باخرة وتجوب موانئ الشرق الأوسط حتى يستطيع الطلاب في علمي الاقتصاد والصناعة دراسة مشاكل الأمم الإسلامية المختلفة

وقد قدم هذه الفكرة من قبل الأستاذ جلال حسين . وقد عرضت مؤسسة فورد أن تدفع لهذه الجامعة مثل ما يدفع لها أغا خان ...

سكان العالم يتضاعفون بعد ٧٠ سنة

تقول آخر احصائيات الأمم المتحدة أن سكان العالم

سيتضاعفون خلال سبعين سنة إذا بقيت نسبة ازدياد السكان الحالية محافظة على مستواها ... ذلك سيصبح سكان العالم بعد هذه المدة ٥ مليارات و ٢٠٠ مليون تقريبا لأن عدد سكان العالم في الوقت الحاضر يقدر بحوالى مليارين و ٧٠٠ مليون

تمثال مصري عمره ٤٠٠٠ سنة

حصل المتحف الملكي في اسكتلندا على تمثال نصفي مصري قديم منحوت من حجر ذي لون قرمزي يرجع تاريخه إلى أربعة آلاف عام ، وقد يكون منحوتا من الجرانيت الوردي المعروف ، وقد وصف بأنه مثال بديع لفن النحت في عهد المملكة الفرعونية الوسطى

ويغلب على الظن أن هذه الآثار من مخلفات الموظفين البريطانيين السابقين في مصر

خبراء المطر الصناعي يقومون بتجارب في صحراء مصر

يؤخذ من نبأ ورد من نيقوسيا أن خبراء المعونة الأمريكية سيجرون تجارب لإنزال المطر الصناعي في صحراء مصر الغربية لإنشاء مناطق لزراعة الفاكهة واستنبات المراعي . وسيعمل الخبراء على تكوين سحب متجمعة فوق المناطق الساحلية تتجه نحو الصحراء ثم تنزل عليها المطر

نقل الروائع العربية إلى اللغات الأوربية

تتابع اليونيسكو إصدار سلسلة الروائع الإنسانية المترجمة ، وكانت قد أنشأت بالاتفاق مع الحكومة اللبنانية لجنة دولية في بيروت تتولى اختيار هذه الروائع وتشرف على ترجمتها من العربية وإليها رغبة في ربط حضارات الشرق والغرب . وقد وقع اختيار هذه اللجنة على — كتاب — الإشارات والتنبيهات ، لابن سينا ، وكتاب — البخلاء — للجاحظ — فتولت نقلهما إلى اللغة الفرنسية على أن يترجما فيما بعد إلى الإنكليزية والإسبانية ، وأصدرت أخيرا حلقة ثالثة هي كتاب — أيها الولد — للغزالي

الوصول إلى القمر في صاروخ

صرح أربعة من كبار الفلكيين في مجلة (نيوز آند وورلد ريبورت) الأمريكية بأنه قد يكون في الإمكان الوصول إلى القمر في صاروخ بنفقات هائلة .. ولكن الرجال الذين يكونون في داخل الصاروخ قد لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة حتى تنتهي الرحلة . ولاحظوا أن الإنسان يحتاج للخروج من نطاق الطبقات الجوية المحيطة بالأرض إلى سرعة تبلغ سبعة أميال في الثانية . وأن الرحلة تستغرق إلى القمر قرابة عشر ساعات ، وإلى المريخ سبعين يوما . وأن الرحالة يحتاج في الفضاء الكوني إلى رداء خاص للتجول في أنحاء القمر ، ومع ذلك فقد يتجمد حتى الموت أو تصدمه ذرة كونية سريعة قد تقتله لكنه لن يسمع صوتا فوق القمر وقد لا يجد زرعا

المسلمون في بريطانيا

جاء في الإحصاءات الرسمية إن المسلمين أصبحوا أكبر جالية أجنبية في بريطانيا ، ويقدر عدد المسلمين الباكستانيين وحدهم بنحو خمسين ألفا . والمسلمون منتشرون في لندن ومعظم المدن الكبيرة والموانئ ولكن أكثر الأماكن ازدحاما بهم برمنجهام وكوفنتري التي هدمتها القنابل الألمانية خلال الحرب الأخيرة ، ويليها في ذلك كارديف وجنوب ويلز . ثم مانشستر وليفربول وجلاسكو

ويؤلف المسلمون في برمنجهام وكوفنتري مجتمعا صناعيا هاما وكثيرون منهم قاموا برحلات كثيرة في العالم قبل أن يستقروا في هذه المنطقة ، والباقون فيهم نحو سبعة آلاف ، وأما المسلمون في كارديف فهم من بلادشتى على رغم تآلفهم واتحادهم ، فهم من الأردن وفلسطين ومصر وسوريا والمملكة السعودية والعراق وعدن والصومال والحبشة وشمال أفريقية وزنجبار

ولمصر ٧٣٧ طالبا في انجلترا ويليها في ذلك إيران بسبعمائة طالب ، أما الباكستان فلها ٩٨٠ طالبا

وللمسلمين في انجلترا أربعة مساجد أعظمها مسجد « شاه جيهان » في ووكنج بمقاطعة صرى ، أما المساجد الثلاثة الأخرى فهي في كرديف (في ويلز) ، وايست أند بلندن ، ومسجد الأحمدية في بوتني بلندن أيضا ، وسوف ينشأ مسجد خامس كبير في حدائق المركز الإسلامي ريجنت بارك بلندن ، وهذا غير ١٢ مصلى في بيوت إسلامية أخرى ، أما المسجد الجديد فإن نفقاته لا تقل عن ١٥٠ ألف جنيه تبرعت الحكومة بأرضه وتبرع نظام حيدر أباد بخمسين ألف جنيه له وجمت له اكتتابات بلغت ١٥٠ ألفا

مؤتمر للشعر

سيعقد في مدينة بروكسل مؤتمر هو الأول من نوعه للشعر والشعراء ؛ وقد دعى إلى الاشتراك فيه فحول الشعراء في العالم وذلك لمعالجة مشكلات فن الشعر وانحطاط قيمته الجوهرية عقب الحرب

وسيقام المؤتمر برعاية رئيس وزراء بلجيكا وتحت إشراف هيئة اليونسكو ونادى القلم الدولى والمجمع العلمى الدولى في بروكسل . وسيمثل أدباء العروبة في هذا المؤتمر الشاعر رياض معلوف

الإسلام في أفريقيا

نشرت صحيفة «فيدس» التي تذيع أنباء الفاتيكان الرسمية أن عدد الذين اعتنقوا الدين الإسلامي في أواسط أفريقيا وشرقها وغربها ضعف عدد الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي

وقد أصبحت مجموعات من القرى في بعض أنحاء شرق أفريقيا البريطاني إسلامية بعد أن كانت وثنية منذ عشر سنين

ويقال إن عدد المسلمين ٨٠ مليونا والكاثوليك ١٥ مليونا من مجموع سكان أفريقيا وهم ٢٠٠ مليون و ١٧٤ ألف نسمة

وتقول « فيدس » إن الأسباب التي أدت إلى انتشار الدين الإسلامي هي سهولته ويسره وميزته في ذلك كله على تعاليم الوثنية ومطالبها وشعور معتنقيه بأنه أحد أبناء دين من أعظم أديان العالم واقتناعه بأنه ارتقى من الناحية الاجتماعية عما كان قبل اعتناقه

وتتوقع « فيدس » أن يزداد انتشار الإسلام في أفريقيا بسرعة أشد مما هي عليه في الوقت الحاضر

طلاب الشرق في الجامعات البريطانية

يؤخذ من إحصاء نشره أخيرا المجلس البريطاني في لندن أن عدد الأشخاص الذين يتلقون العلم بالجامعات البريطانية على نفقة المجلس بلغ في السنة الدراسية الحالية ١٦١ طالبا قدموا من ستة وخمسين دولة . وهؤلاء الطلاب من ذوى المؤهلات الجامعية ممن حصلوا على درجات عالية في الدراسات التي تنظمها فروع المجلس المختلفة في خارج بريطانيا . ومن بين هؤلاء طلاب من مصر والأردن وإيران

مبيد للمكروبات جديد

أضيفت حلقة جديدة لسلسلة العقاقير المبيدة للمكروبات باكتشاف البوليميسين (ب) وهو على رأى طائفة من الأطباء الأمريكيين جدير بالقضاء على مجموعة من الأمراض المعدية التي تتحدى منذ طويل جهود علم الطب

والفرق بين البوليميسين(ب) والتراميسين أن التراميسين فعال الأثر في عدد كبير من الأمراض بينما العقار الجديد قليل الشهية للجراثيم ، ولكنه يختص بمجموعة معينة من الجراثيم خصوصا ما هو معروف منها باسم bacillus pyocyaneus الذى يوجد طبيعيا في أمعاء الإنسان ولكنه لا يستشرى إلا إذا ضعفت مقاومة الشخص أو انعدمت كما أثبت الدكتور إرنست زانتز فائدته في علاج (الزحار) الديسنطاريا الباسيلية المزمنة وبعض أمراض الأطفال

في عالم الكتب : نقد وتعريف

ضرب الكليم

ديوان شعر لشاعر الشرق والاسلام الدكتور محمد إقبال رحمه الله

تعريب الدكتور عبد الوهاب عزام

للأستاذ مسعود الندوى

بين يدى الآن ، ديوان « ضرب الكليم » الذى قام بتعريبه الأديب الألمعى والشاعر المفلق ، صديقنا الأجل الدكتور عبد الوهاب عزام ، أتصفح أوراقه وأسرح النظر فى مرعاه ؛ والذاكرة تستعيد بيت (إقبال) الذى شكا فيه عدم انتشار شعره بين الناطقين بالضاد :

لو أن من به عجم آتش كى أفروخت
عرب زنغمة شوقم هنوزبى خبراست

(لقد أذكى شعرى الجذوة الخامدة فى بلاد العجم ؛ لكن العرب لا تزال تجهل ما أبثه من تباريح الشوق والوجد) قال ذلك (إقبال) قبل نيف وعشرين سنة ، حينما كانت مصر والأقطار العربية مفتتنة بأدب (تاغور) وشعره ، ولا تكاد تلتفت إلى شعر (إقبال) وحكمته الخالدة المستفيضة من معين الكتاب والسنة ، لما استولى عليها يومئذ من نزعات الوطنية المتطرفة . ولو عاش شاعرنا إلى هذا اليوم ، لشاهد بعينيه أنه قد تبدلت الأرض غير الأرض ، وقد هب القوم يستعيدون مجدهم العربى ويحاولون باسترداد عزم الإسلامى الخالد ، وذلك بفضل دعوة (الإخوان المسلمون) ورجالها العاملين المخلصين الذين حطموا قيود الفرعونية وفكوا أغلال الإقليمية والعنصرية وقاموا فى الأمة ينادون باسم الإسلام ، يحيون له ويموتون فى سبيله . وهـذا ما كان يدعو إليه (محمد إقبال) الشاعر الحكيم بشعره الرصين البليغ الممتلئ حكمة وإيمانا . فما أحسن هذه الفرصة وما أوفق هذه الظروف الملائمة لترجمة (شعر إقبال) وعرضه على قراء العربية .

ومن أجل هذا وذاك كان سرورنا عظيما إذ تصدى صديقنا النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام لهـذا العمل الجليل ؛ ولعمرى هو خير من كان يمكن أن يقوم بهذا الواجب الخطير فى باكستان والبلاد العربية كلها ، إذ لا يتأتى لكاتب أو شاعر باكستانى أن يفرغ شعر إقبال البليغ فى قالب من العربية فصيح تبقى عليه مسحة من بلاغة (إقبال) ورونقه : وقد جرب ذلك كاتب هذه السطور غير مرة فلم يكتب له النجاح . وكذلك لا يوجد فى أدباء العرب وشعرائهم — فيما أعرف — من يعرف اللغات التركية والفارسية والإنكليزية حق المعرفة ، وله اطلاع لا بأس به على الأدب الأردى ، مثل الدكتور عبدالوهاب عزام . فإنه أحاط بمؤهلات الموضوع من جميع أطرافها . أقـول فى أدباء العرب وشعرائهم ، وذلك بعـدما تتبع الأدب العربى الحديث منذ خمس وعشرين سنـة . وجملة القول أن الدكتور عبد الوهاب هو خـير من كان يمكن أن يعنى بتعريب شعر إقبال ودواوينه بالفارسية والأردية . ومن حسن حظنا وحسن حـظ الأدب والعلم أن انتدب لتمثيل أرض الكنانة فى بلاد (باكستان) فلم تحظ بلادنا فى الست سنين الماضية من استقلالها بسفير أو ممثل سياسى وافق طبيعة الباكستانيين وأذواقهم مثل الدكتور عزام ، غير الأستاذ الأديب السيد عمر بهاء الأميرى وزير سورية المفوض سابقا ، فإنه أيضا استأنس به أهل هذه البلاد كما يستأنس أخ بأخيه ، وذلك لحميته الدينية ونشاطه المحمود فى حقول الأدب والاجتماع

وبعد ، فقد جلست الآن أمام منضدتى لكتابة كلمة أعرف بها ترجمة (ضرب الكليم) العربية إلى القراء وأنوه بالنجاح الباهر الذى أحرزه العرب فى هذا المجهود الأدبى المشكور ، لكن الحديث ذو شجون والقلم قد اشتطت به الأفكار ، فمعذرة إلى القراء .

هـذا الديوان يحتوى على ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط (علاوة على المقدمة وكلمة التعريف) . وفى أولها مقدمة « ومدخل » للمعرب بين فيها منهاجـه فى التعريب وعرف بفلسفة (إقبال) والقطب الذى تدور حوله رحى كلامه ، حتى يسهل للقارئ ، التفطن إلى دقائق تعاليمه وحكمه . وأيضا شكر المعرب فى المقدمة الذين ساعدوه على فهم شعر (إقبال) من أصدقائه فى (كراتشى) عاصمة باكستان . ثم تلاها كلة لكاتب من كتاب باكستان ليشرح بها فلسفة (إقبال) وتعاليمه . والكلمة فى الأصل مكتوبة بالأردية ، عنى بتعريبها أو بتعريب « الجزء الأكبر منها » صديقنا الدكتور السيد محمد يوسف الهندى ، نزيل القاهرة — ولكنى لم أجد مسوغا لتحلية جيد هذه الحسناء بمثل هـذه القلادة الشوهاء — وكان من الميسور أن يجد المعرب فى العاصمة رجالا لهم معرفة دقيقة بفلسفة (إقبال) ويقدرون أن يشرحوها أحسن شرح بالعربية نفسها

وهذا الديوان لباب تعاليم (إقبال) وحكمته ، جادت به قريحته ، وهو فى المرحلة الأخيرة من مراحل حياته ، وقد نضجت أفكاره وبلغت حكمته وفلسفته قمة العلو والكمال ، إلى أن جعل ينشرها دررا منظومة وغير منظومة . فقد سمى هذا الشعر المبثوث فى هـذا الديوان « ضرب الكليم » أو إعلان الحرب على العصر الحاضر . ومن أجل ذلك ، يعد هـذا الديوان خير شئ لمن أراد الاطلاع على فكرة (إقبال) ونظريته فى الحياة ومشاكلها ومسائلها المتنوعة المتشعبة

أما هل نجح المعرب فى إبراز محاسن شعر إقبال فى حلة قشيبة من لغة الضاد ، حتى يتأثر بهـا قراء العربية والناطقون بها ، فهذا سؤال يصعب الجواب عليه بسهولة . فإن الترجمة — مهما أوتى المترجم من قوة الأداء وملكة البيان — قد تذهب فى أكثر الأحيان برواء الأصل وبهائه فى الشعر . والذى يقـدر على أن يبقى على طلاوة الأصل وما له من تأثير بعد الترجمة ، فلا شك أنه ممن بلغ قمة الإعجاز وارتفع فوق المستوى البشرى المتاد فى الأداء وقوة البيان . هذا فى الشعر . أما النثر ، فله شأن آخر ، وفيه متسع للقول . وإذا نظرنا من هذه الوجهة إلى ديوان « ضرب الكليم » المعرب ، رأينا أن المعرب قد نجح فى مسعاه وأدى إلى قراء العربية معانى شعر (إقبال) السامية بدقة وأمانة ، وبأسلوب عربى نقى ، قلما نظفر بمثله عند جهرة الكتاب . وذلك أقصى ما يقدر عليه كاتب وشاعر مهما كان من قدرته البيانية وملكته الأدبية . والمعرب الفاضل يستحق أجمل الثناء وأسنى كلمات الشكر من جميع المولعين بإقبال والمفتتنين بشعره

والكتاب مطبوع طبعا أنيقا على ورق جيد ، عنيت بنشره جماعة الأزهر للنشر والتأليف ، إلا أننا ما رأينا وجها لإدخال أداة التعريف على (باكستان) فى (سفير مصر لدى الباكستان) فإنه خطأ شائع ، ينبغى تجنبه . والدكتور عزام قد استعمل الكلمة (باكستان) مجردة عن لام التعريف فى المقدمة مرارا فلعل هـذه الزيادة ممن تولى الطبع والنشر . وعلى كل ، فلجماعة الأزهر للنشر والتأليف ، شكرى وتقديرى وتحياتى

مسعود الندوى

شاعر الشعب

تأليف الدكتور سامى الدهان

للسيدة وداد سكاكينى

تقتدى بعض دور النشر فى مصر والبلاد العربية بما تصنع أمثالها فى الغرب فإن ناشرى الكتب يدأبون على إصدار سلاسل شهرية أو أسبوعية تشتمل على كل شائق وطريف يتعلق بالفكر والثقافة ، فلما ظهرت سلسلة «إقرأ» ذكرت من فورى سلسلة « لو » الفرنسية ، وقداستبشرنا الخير فى ظهور سلسلتنا العربية وفرحنا بالحلقات الذهبية

التى ضمتها إذ شمت نورا وجمالا ، ثم لم نلبث أن رأينا فيها حلقات من معـادن لا يجوز أن تسلك مع الذهب فى نظام واحـد ، فما كان فى الدهر عقد ذهبى يجمع حلقـات من نحاس أو قصدير

فمن هذه الحلقات كتاب « شـاعر الشعب » لمؤلفه الدكتور سامى الدهان ؛ تنـاولته وأنا أحسبه دراسة أدبية مبسطة أو بحثـا ممتعا مقربا ، وإذا به موضوع لا يرقى إلى الموضوعات الدرسـية المنظمة ، وقد سماه المؤلف شـاعر الشعب ليستهوى الجمهور ببراعة العنوان دون أن يدل على المقصود ، فمن هو شاعر الشعب ، وأى شعب أراد المؤلف فى ظاهر الـكتاب ؟

أما فى باطنه فهو يعنى بالـكلام على شاعر النيل حافظ إبراهيم الذى ملأ صيته الشرق ، وليس بحاجة إلى دراسة خفيفة أو بحث مرتجـل ، فرجل الشارع بمصر والبـلاد العربية سمع بحافظ إبراهيم ، فمـا بالك بالمتعلمين والمثقفين ؟ وإنمـا يعوز حافظ إبراهيم اليوم أن يتصدى لدراسته من يستطيع تحليل شعره وعصره وبحث حياته ووطنيته من شتى نواحيها متعمقا فيها ، مستغرقا أطرافها وخوافيها

ويبدو أن المؤلف الفاضل آثر الراحة ورضى الجمهور والناشر فقد بات أكثر أدبنا بضاعة مزجاة خاضعة لقانون العرض والطلب فى عالم الاقتصاد ، فلملم الدكتور الدهان أصول كتابه وفصوله من ديوان حافظ إبراهيم الذى نشرته وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٧ وشارك فى جمع شعره وشرحه وتنسيقه الأسـاتذة الثقات أحمـد أمين وإبراهيم الأبيارى والمرحوم الزين

وقـد كتب القدمة الشاملة العالم البحاثة أحمـد أمين فكان من أغرب ما صنع المؤلف أن أهمل ذكر هذا المصدر الفياض الذى استقى منه آمنا مطمئنا غير حاسب أى حساب للمطلعين المتتبعين ، وكان يهون الأمر لو أن هذا المصدر كان لنابرين مغمورين ، لـكنه لمعاصرين مشهورين ، وكانت أمانة العـلم تقتضيه ألا يغفل ذكر كاتب القدمة الذى كفاه عناء البحث والتنقيب

وفى هذا المؤلف الصغير ناقض الدكتور الدهان نفسه كثيرا ، فمرة يقول فى أمر إيجابا ثم يقول فى هذا الأمر سلبا ونفيا ، فمن أمثال هذا قوله إن حافظا لم يتلق ثقافة عميقة واسعة ولا دراسـة منظمة ثم يشيد فى مكان آخر بوعى حافظ ومعرفته ،نسـاقا مع المعجبين بثقافته ، فيقـول (ولا يخطئ الدارس حين يرى فى مجلس الإمام ، مدرسة عالية أو جامعة ثقافية يتخرج فيها الطالب كما يتخرج فى الجامعة سـواء بسواء . ولا حرج إذا وجدنا فى صلة حافظ بهذه الدروس والمجالس صلة الطالب بالجـامعة فقد أخذ بها حافظ وعب من منابعهـا فكان فى دار الإمام يتلقى اللغة والحـكمة ويقرأ الشرح فى المنار) ويتمرس بالشعر والوطنية ثم يسرد المؤلف أقوال صحب حافظ من أمثـال البشرى وبركات ومطران والعقـاد وطه حسين حتى يملأ صفحات من كتابه من هذه الأقوال دون تحليل لها أو تعليل لـا جاء فيها . والأصل فى الاستشهاد بالدراسات الأدبية أن يستنبط منه الباحث الحـكم والدليل ، ولـكن الدكتور الدهان روى الأقوال ونقلها ليزيد فى عدد الصفحات

ومن التناقض فى الحقائق التى سردها المؤلف قوله إن حافظا أجاد شعره فى شبابه ونظم أحسن قصيدة وهو فى الرابعة والعشرين ؛ ثم ذكر بعـد صفحتين « هـذا بعض شعره وقد جاوز الخامسـة والعشرين طبعه بطابع القدماء وليس فيـه إلا تهويل وتزويق ، ولا براعة تشـع منه ولا اختراع »

ومرة يجد المؤلف مجال القول ذاسعة فى الـكلام على حافظ من ناحية معينة ومرة لا يتجاوز الصفحتين حيث ينبغى التفصيل والتعليل ، وذلك حسب نطاق الاقتبـاس واختصار الأصل ، والظاهر أن المؤلف الفاضل كان فى كلتا الحـالين من حكمه وكلامه خاضعا لسياق نفسى واختيـار

متخطف عابر

وإن أدب قال فلان وروى عن فلان من غير دليل أو تحليل قد فات أوانه إذ كان من بضاعة المرحلة الفائتة فى أدبنا المعاصر

وكنا ننتظر من الأستاذ الفاضل الدكتور سامى الدهان أن يتحفنا ببحث شائق عن حافظ إبراهيم فى سورية ولبنان ، فقصيدته الرائعة التى قال فيها :

حيا ربوع الحيا أرباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حيانى

حافلة بصور المودة والعروبة ومباهج الطبيعة والجمال ، وهى جديرة بالدرس والمقارنة ، وفيها قال حافظ :

وقد وقفت على الستين أسألها أسوفت أم أعدت حر أكفانى

وقد اتفق أن كانت نهاية الشاعر بعد هذه الوقفة بشهور . على أن هذه الوقفة الشاعرة الملهمة كان جديرا بالمؤلف أن يستغلها لو مر بها ، فإنها تصلح لانبثاق مسارح العاطفة من شاعر خالد اتفق له أن تنبأ بموته وصدقت نبوءته . لقد سبق المتنبى حافظا إلى مثل هذه النبوءة المحققة حين فارق فارس فقال قبيل فراقها :

وأنى شئت يا طرقى فكونى أذاة أو نجاة أو هلاكا

ومن عجب أن يقول المؤلف إن حافظا لم يحس بالطبيعة ولم يحدثها أو تحدثه ، وكأنها لم تنقش فى ذهنه إلا كما ينقش الأزميل فى الماء أو القلم فى الصحراء » وقد فاتته القصائد الوصفية التى نشرت فى ديوانه الأخير من ص ٢٠٥ إلى ص ٢٣٩ وفيها مقطوعات وأبيات فى وصف الطبيعة بين السماء والأرض ، وما زال فى خاطرى من عهد الدراسة قصيدة حافظ فى وصف الشمس ، وهل الشمس إلا أم الطبيعة ومحور الكون ؟ وقد وصف شاعر النيل الزلازل والبراكين ، وسور البحر وخفوق الرياح أروع تصوير ، ولم يترك جنان الربيع ولا منازل الجزيرة فى وطنه الجميل

ولا ينبغى أن يغيب عن كاتبى ميزاننا الأدبى الحديث أن حافظا وشوقيا والبارودى وصبرى قبلهما لم يعنوا بوحدة الموضوع كما نطالب بها اليوم شعراءنا ، ولروح الشعر العربى طبيعة تختلف عن طبائع الشعر الغربى إذ أن شعرنا لا يخلو من التنوع واختلاف الصور فيه على الرغم من كل تجديد

وثمة كلمة نابية جاءت ص ٣ ذكرها المؤلف وهو يتحدث عن حافظ وشعره فقال « ظل يهذى حتى قال الشعر » وما كان حافظ مهذارا فى شعره ولا هاذيا ، وإن النكتة التى شاعت فى أحاديثه الخاصة لم تكن لتذهب من وقاره وقدره . ولعل المؤلف أراد أن يقول : حاول حافظ الشعر أو غرزم فيه حتى تمرس به

وبعد فإن كتاب «شاعر الشعب» مثل من الدراسات الخفيفة العابرة وما كانت منتظرة وهى على هذه الصورة من مؤلف ولا ناشر ، على أن لمؤلف هذا الأثر الأخير آثارا قيمة تشهد له بالبراعة والاقتدار

داود سلكينى

آراء وأنباء

وا إسلاماه !

هكذا سيصيح القارئ بعد ما يفرغ من قراءة مقالى الأستاذ محمود شاكر : أبصر طريقك وباطل مشرق . فالأستاذ الكريم ينظر إلى العالم الإسلامى الآن بعد الغزوين الأوربيين : العسكرى والفكرى ، فيراه قد انقسم إلى طائفتين . فطائفة نسيت ماضيها وتنكرت له . ورأت فى الرجوع إليه مخالفة لروح العصر ؛ وطائفة أهمها ماضيها وعز عليها أن تتنكر له فانبرت تقدمه للناس فى ثوب جديد . لا تألو فى ذلك صبرا ولا اجهادا

والأستاذ الكبير يخاف على الإسلام أشد الخوف من هذه الطائفة « التى اتخذت كلة الإسلام لنوا على ألسنتها » ومما زاد الطين بلة والجرح ألما نشاط هؤلاء الناس ، وانصراف كل داعية منهم إلى ناحية مدعيا ترميمها وتجديدها على أسس هى « فى جوهرها من الحياة التى أنشأها النازى الصليبى بيننا . لذلك ، وبسبب هؤلاء فالعالم الإسلامى « مقبل على هزيمة منكرة عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا » هزيمة منكرة ؟ عاقبتها تبديل الإسلام تبديلا كاملا ؟ واغوثاه ! أين هؤلاء المجددون ؟ دلنا عليهم يا أستاذنا ؛ فأنت وحدك أدركت الخطر . وعرفت السر الخطير . دلنا عليهم وإلا فأنت تقاتل فى غير عدو . وليس المجال بجالى . وحسبى أن أنبه من هو أقدر منى ليطمئن الأستاذ على الإسلام وأنه لاخوف عليه من هؤلاء المجددين . فالإسلام صالح لكل زمان ومكان

الصافية عبد الفتاح محمد الجزار

هل فى مصر أزمة ثقافية ؟

دأب كبار المفكرين فى مصر على ترديد دعوى لا برهان عليها وهى « أن الأدب فى محنة » « والثقافة المصرية فى أزمة » وأن الشعر قد مات بموت شوقى وحافظ ، إلى آخر هذه الدعاوى العريضة التى تشغل أعمدة من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية — ويعلم الله أنه لاضعف ولا نكوص ، وأن مصر اليوم غير مصر الأمس ، غيرها فى كل شئ .. فى عدد القراء ، وتنوع الأدب ، والمستوى الثقافى العام .. ويذكرنى هذا بتعقيب الأستاذ « أبو حديد » على ندوة من ندوات الشعر فى جمعية الشبان المسيحية إذ قال : « وفيما شاهدت أكبر برهان أرد به على دعوى الذين يزعمون أن الأدب فى محنة — فالشعر الذى كان جدولا واحدا لا يتغير فى عهد شوقى ، قد تعددت ألوانه ومذاهبه» هذا ما قاله « أبو حديد » لأنه استطاع أن يبرح البرج العاجى الذى يقيم فيه كبار الأدباء فى هذه الأيام وشاهد بعينيه ندوات الشباب التى لم يكن لها نظير فى عهد شوقى وحافظ ...

ويقول الأستاذ « سعيد العريان » إن الكتاب الجيد لم يعد يطبع منه إلا بضعة آلاف نسخة لا تنفد فى أقل من عامين — فهذا كلام حق ويجب أن يكون — فالقراء اليوم — وهم كثير — قد عرفوا معنى التعاون ؛ فالكتاب الواحد يقرؤه العشرات من طلاب المعرفة بواسطة التبادل الثقافى فيما بينهم وأصبحوا يقصدون دور الكتب المختلفة — خاصة وقد أصبح فى كل مدرسة مكتبة ، وفى كل شارع من شوارع القاهرة وفى كل مدينة من مدن القطر مكتبة أو أكثر تتوفر فيها أسباب الراحة لطلاب المعرفة ..

وإذا أردت دليلا على كثرة القراءة وارتفاع المستوى الثقافى فى مصر فاهبط يوما إلى حديقة الأزبكية حيث تجد -

طرائف وقصص

انتحـــــار

للكاتب الفرنسي جورج مورفير

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيـه يدرك الإنسان المعنى الذى تنطوى عليـه كلمات فلوبير : هنالك بقاع فى العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ··· بيد أن سان رومانو وا أسفاه تشبه أيضا ثمرة لذة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذى يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس ؛ فنى جنبات المدينة تقابلك الوجوه الذاهـلة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفـة ··· وفى كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : ألا ليتنى وضعت على رقم ٧ ! ··· آه ! هـذا للأحمر الملعون ، لقد كسب عشر مرات متواليـة ، وبالرغم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن فى البلد كله من يلقى أدنى التفاتة إلى المناظر الساحرة الأخاذة التى تنبث فيـه . كانت الأرض عندهم « روليت » ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠

وقد كنت أنا أيضا ضحية هـذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغا لم يكن جد كبير ، غير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نومى ذات صباح كيلا أجد معى سوى اثنى عشر فرنكا مع أنى مدين لصاحب المنزل الذى أقيم فيـه

الآلاف من عشاق الثقافات المختلفة يهومون حولها ويحدقون بعيون ظمأى إلى أكداس الـكتب البالية المرصوصة على سور الحديقة ، ولا يضنون فى سبيل الحصول عليها بالقروش اليسيرة التى تفضل عن «قوتهم» . أما أن يطبع لهم كتاب جيد ويفتن صاحبه فى انتقاء الورق واختيار الغلاف وتحليته بالصور الجميـلة ثم يطلب منهم الثمن البـاهظ ، فهذا مالا يستطيعه إلا القليل . وإن أردت التأكد من ذلك فاسأل دور النشر التى تطبع الطبعات الرخيصة فى هذه الأيام كدار الهلال ، ودار كتب للجميع .. وغـيرها ، عما تبيعه من هذه الـكتب فسوف تسمع ما يسرك وما يجعلك تعـود فتقول : حقا إن عدد القراء قد زاد زيادة عظيمة . .

ولقد زاد عدد القراء أضعاف ما كان عليه والمتعلمون لا يزيدون عن المليون . ولقد أصبحت الأفكار والآراء التى كانت وقفا على عدد قليل فيما مضى من كبار المثقفين — فى متناول جميع طبقات الشعب يلغطون بهـا فى أحاديثهم اليومية ، وقد يتندرون بالسف منها ، وإن الأدب الذى كان يهلل له جمهرة القراء فيما مضى ، لم يعد يرضى أذواقهم كثيرا فى هذه الأيام . وإنهم ليتطلعون إلى الأدب الحى الذى تصوره الأقلام المصرية الأصيلة أصدق التصوير ولم يعد هذا الجيل يهاتر حول بيت من الشعر ، أو أن كلمة « مرجان » قـد أخطأ فيها الشاعر عشر أخطاء أو خمسا . وحينما يرتفع المستوى الاقتصـادى فى مصر ويستطيع صاحب القصة أو الديوان طبع قصته أو ديوانه ، ويستطيع القارئ شراء نسخته — فسوف يموت أدب وينتعش أدب . وسـوف ترتعد فرائص الذين يعيشون خلف الأسـوار — حين يدهمهم هذا السيل الذى ترعف به أقلام الشباب

كيلانى حسن سند

بخمسة عشر فرنكا ؛ لذلك اختبرت مسدسى فألفيته يزخر بست رصاصات قواتل كانت فى ظنى كافية لتمزيق رأس فارغ كرأسى. وفتحت نافذتى. كان « صباحى الأخير » رائعا جميلا فالسماء زرقاء صافية والأمواج خضراء هادئة والنسيم يسبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطىء لأملأ صدرى المنفعل بهذا النسيم الفواح ... بيد أنى كررت عائدا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعا شديدا ، وفى أثناء عودتى ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية ، وهى صحيفة مثيرة ، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها إبان الطعام فاسترعى نظرى عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بخاطرى دون أدنى انفعال : « هنا سيعلن خبر موتى أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفا محرر هذا الباب الذى سيعلن نعيى فى هذه الصحيفة

وعلقت عيناى بخبر انفرد بعلامة الصليب فى صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو جاكوبسن — أمريكى الجنس — معلقة فى إحدى النخيل الذى ينمو على الشرفة — وقد وجد فى جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك — طبعا »

جوسو جاكوبسن ؟ إنى أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنبا إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معه رأيته يتنهد فى عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدى وهزها بحرارة ونظر إلى بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماما ... وداعا يا صديق » ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يعثروا فى جيبه على ثلاثة آلاف فرنك ... وماذا تعنى بحق الشيطان هذه الكلمة « طبعا »

ولاح لى قبس كشف لى الأمر وأبان الطريق .. يالى من غبى ! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا المال فى جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسباب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الا كتشاف الفجائى رحت أفكر ! كم يا ترى يدسون فى جيبى إذا حزمت أمرى وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت بقدر ما خسر جاكوبسن ... وسربت إلى رأسى فكرة بأسرع مما كان مقدرا أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتا ؛ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق وأكدت له أنى سأدفع له حسابه فى المساء ثم أضفت :

— هذا إذا بقيت حيا ...

— إنا نثق فيك كل الثقة يا سيدى

— إذن فأقرضنى مائة فرنك حتى المساء ... إنى أنتظر وصول مال من باريس

— بكل سرور يا سيدى

وقضيت سحابة النهار على الشاطىء حيث وضعت — بروية وإمعان — خطة السير فى انتحار يعود على بربح وفير

وفى مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابى وقد أبنت للملأ أنى جئت أجازف بآخر ما بقى لى .. وأنى سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت المائة فرنك ... فبدا على الانزعاج فى بادىء الأمر ... ثم انقلبت أتململ غاضبا حنقا ... وأخيرا بدوت كالذاهل المأخوذ

وزنى لحالى شاب قامت بينى وبينه معرفة ، وسألنى ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أنى أفلست ، فأخذ يواسينى ويخفف عنى ثم قال :

— لا تيأس فما زلت تملك نفقات السفر إلى وطنك

إن الكازينو — فى هذه الحال — بتطوع ! فقاطعته بيأس قائلا :

— إن السفر الذى أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة »

فنظر إلى مشدوها وقال :

— لا أحسبك جادا فى هذا القول ... آمل ألا تكون قد جننت

فظلت صامتا ، ثم أدرت له ظهرى ورحت أجيل بصرى ذاهلا فى أرجاء المكان بضع دقائق ... وقد لحت أصحاب « الكازينو » يراقبوننى من طرف خفى

وانفرط عقد اللاعبين فى الساعة الحادية عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلقى بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعى أصوات كان جنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجعلت وجهتى — وقد أجمت أمرى — حرشا قريبا من الكازينو ، بقمة هادئة تمد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذى أزمعته ؛ وكان ثمة تمثال من الرخام لغانية من غوانى البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدورى

ودوت فجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد القاعد فى وضع مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات وسقطت على عينى المسبلتين ظلال القبلين

— يا إلهى ! . إنه هو ...

— يا للمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين مما وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم ... أسرع قبل أن يرانا أحد . تباً له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوق فشعرت كأنما اندس شئ فى جيبى هنالك ارتعدت قليلا ... وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عينى ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى بعناية وحرص ناظرا فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد ولى . وفى عدم اكتراث أخذت قبعتى والمسدس الذى كان ما زال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفا

وكان المحتشدون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام ... وقلت فى غضب :

— عجباً لكم يا قوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيدا عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب منى أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال فى تلعثم واضطراب :

— سيدى الفاضل ... أرجو ... هل ... إذا ... ماذا تقصد بهذه المهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتعكيرك الأمن

— لتعكيرى الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت الجمع ظهرى واتخذت سبيلى ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديونى من الآلاف الثلاثة التى أخذتها مقابل قيامى بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال ؛ ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إعادته ، إذ اعتبرت أن هذا المال من حق ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمنا كبيرا لانتحارى

وقد عمدت إلى إغاظتهم ببقائى فى سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس ... وقد سمعت أن المبلغ الذى دس فى جيبى قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

محمد عبد الفتاح محمد

لغـــــويات

قطط

أنكر أحد الباحثين استعمال الجمع (قطط) مع أنه صحيح لأنه جمع قطة أنثى القط بكسر القاف فيهما . وهذا الجمع قياسي فهو بديهي لا يحتاج إلى نص . وللقطة والقطط نظائر لا تحصى كثرة

وقد جاء في المعاجم اللغوية : الهرة وجمعها هرر مثل قرية ، وقرب والهرة والقطة متحدتان وزنا ومعنى . وجاء في المعاجم : القردة أنثى القرد وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء ، ومن نظائرها : بدعة وبدع وحكمة وحكم وسلعة وسلع

فقولهم : ذكاء القطط ، ومخالب القطط ... صحيح ، ولنا الحق في أن نقول : قط من القطط (على التلفيق) مثل قولهم خليفة من الخلفاء لأن خليفة جمعه خلائف ، وأما خلفاء فجمع خليف مثل شريف وشرفاء

الدستور في اللغة

الدستور : لفظ فارسي معرب (دستور) بفتح الدال وبدون ال وهو مركب من (دست) أي يدأو قاعدة ومن (ور) أي صاحب فمعناه صاحب اليد ويراد بها القوة والسلطة أو صاحب القاعدة لاشتماله على القواعد والقوانين الأساسية التي يعمل بمقتضاها وهو كما ترى بفتح الدال في اللغة الفارسية ولما عرب ضموا الدال ليلتحق بأوزان العرب وقد زعم الحريري أن فتح الدال خطأ بناء على أنه لا يوجد وزن (فعلول) بفتح الفاء وهذا ليس بصحيح ، وله نظائر كثيرة وردت بضم الأول وفتحه مثل : سندوق وصندوق وعصفور ...

جربوع

جاء في (المصباح المنير — مادة ربع) اليربوع : دويبة (تصغير دابة أي حيوان) نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة والجمع رابيع والعامة تقول (جربوع) بالجيم

وقيل إن اليربوع نوع من الفيران . ويظهر أن شكله يلفت النظر . ومنه ندرك السر في قولهم فلان جربوع وهي جربوعة وهم جرابيع ، وقد اشتقوا منه أفعالا وأوصافا فقالوا : جربوع ومجربع ، إذا صار مثل الجربوع في شكله وهيئته ، والجرابيع اسم بلد بمديرية المنيا

ثقات لا ثقاة

من الأخطاء الشائعة قولهم (ثقاة) بالتاء المربوطة في جمع (ثقة) لأنه جمع مؤنث سالم وهو يكتب بالتاء المفتوحة لاغير ونظيرها صفة وصفات وصلة وصلات وعدة وعدات وهبة وهبات ، والثقة في الأصل مصدر وثق به ومن شأن المصدر أن يوصف به المفرد والمذكر وفروعهما بدون تغيير ، فيقال : هو أو هي أو هما أو هم أو هن ثقة ، وقد يجمع باعتبار إفراده وأنواعه فيقال هم أو هن ... ثقات، ولعل حضرات القراء يراعون هذا ونحن في عهد التحرير والتطهير

قشطة وقشدة

القشطة لغة عربية صميمة من قشطه يقشطه قشطا مثل كشطه فهي بمعنى المقشوطة مثل القطعة بمعنى المقطوعة لأنها تقشط ، وأما القشدة فهي من قشده يقشده قشدا بمعنى قشطه وكشطه أيضا . ولا يخفى أن القشطة خفيفة لطيفة ومألوفة فلماذا نلجأ إلى الغريب نؤويه ، وإلى الميت نحييه ، ونشكك الجمهور في لغته الصحيحة

ومن الغريب أن اللغويين ذكروا لغة أخرى وهي (القشذة) بالذال المعجمة وهي كما ترى أثقل من زميلتها

علي حسن هلالي